العدد 09، يونيو 2018، السنة الثانية
معهد الشارقة للتراث
SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE

مراود

مجلة منوعة تعنى بالتراث الثقافي

عام زايد

ملف الشهر

زايد.. مائة عامٍ من التاريخ

سلطان يكرّم الفائزين بجائزة الشارقة الدولية للتراث الثقافي

«الشارقة للتراث» يستعرض تجربته دولياً

«الأيام التراثية» تسمو بالتراث

تراث اليمن في الشارقة

UNITE4HERITAGE متحدون مع التراث

MARAWED Issue, 09 (JUN 2018), The Second Year

العدد 09، يونيو 2018، السنة الثانية

MARAWED

Magazine Concerned With The Cultural Heritage

YEAR OF ZAYED

معهد الشارقة للتراث
SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE

Issue, 09 (JUN 2018) The Second Year

Special Report:

Zayed.. 100 Years of History

Sultan Honors Winners of the International Award for Cultural Heritage

«Sharjah Institute for Heritage» Presents its Rich Experience

«Sharjah Heritage Days» Supports Heritage

Heritage of Yemen in Sharjah

UNITE4HERITAGE متحدون مع التراث

سياسة النشر

تعنى مجلة «مراود» بالتراث الثقافي الإماراتي بالدرجة الأولى، ثم العربي والعالمي، وتسعى من خلال أبوابها إلى الاضطلاع بتلك الغاية، والتركيز على موضوعات تراثية تتّسم بالجدة والموضوعية والتنوّع والشمول، ومقاربة التراث، بحثاً وتوثيقاً ودراسةً وتدقيقاً، كما تعمل المجلة على تتبّع تجليات التراث الثقافي في الأعمال الإبداعية الإماراتية والعربية من خلال الاحتفاء والتوظيف والاستحضار لمختلف عناصره ورموزه.

وتركّز المجلة على الموضوعات الثقافية والتراثية والإعلامية التي تلامس مختلف جوانب التراث الثقافي من مهن وحرف وألعاب وحكايات وأزياء وزينة وحلي وفنون وموسيقى.. وكل ما يتّصل بفروع التراث الثقافي وعناصره، محلياً وعربياً وعالمياً.

ويشترط في المواد المقدّمة للنشر:

- الجِدّة والأصالة، وألا يكون سبق نشرها أو مقدّمة للنشر لدى مجلات أخرى.
- الموضوعية في الطرح والمصداقية في التناول.
- سلامة اللغة، وسلاسة الأسلوب.
- التوثيق العلمي وعزوُ كل قول إلى قائله.
- ألا تتضمن المواد ما ينافي المبادئ الأخلاقية والمقدسات الدينية أو يخدش الحياء، أو ينافي الذوق العام.
- ترفق مع المواد صور عالية الدقة والجودة.
- يراعى في ترتيب المواد المقدّمة للنشر الجانب الفني والموضوعي وفق رؤية هيئة تحرير المجلة.
- يحق لهيئة التحرير التصرف في صياغة المواد، متى كان ذلك ضرورياً، لتتماشى مع سياسة النشر، ومع الطرح الإعلامي المناسب للقارئ.
- إدارة التحرير غير ملزمة بشرح أسباب رفض نشر المواد ولا إرجاعها.
- المواد المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة، وإنما عن رأي كتّابها.
- تستقبل المواد والمشاركات على بريد المجلة الإلكتروني: marawed@sih.gov.ae

للتواصل مع إدارة التحرير:

065014898 - 0567927270

m.bounama@sih.gov.ae

الغلاف رسم الفنان حبيب الرحمن

مراود

تراث الشارقة

د. عبدالعزيز المسلّم
رئيس التحرير
az.almusallam@gmail.com

الشارقة الإمارة الباسمة التي خلبت الألباب بجهودها الاستثنائية ومشروعها الثقافي الرائد بقيادة صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، حفظه الله ورعاه، الذي يقدّم للعالم أنموذجاً فريداً في دعم الثقافة ورعاية المبدعين، وحفظ التراث وصونه، والترويج له.

وتعمل مجلة «مراود» في كل أعدادها على متابعة القطوف اليانعة لهذا المشروع، الذي حوّل الإمارة إلى مركز إشعاع ثقافي، امتدّ وهجه ووصل صيته إلى العالم أجمع، من خلال ما تستعرضه من أخبار ومتابعات، وفعاليات وأنشطة تحتضنها الشارقة، بتنظيمٍ من معهد الشارقة للتراث.

في هذا العدد تحتفي المجلة بمئوية القائد الرائد المغفور له، بإذن الله تعالى، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، من خلال ملف خاص بعنوان: «زايد.. مائة عام من التاريخ»، مستعرضاً شذرات من سيرته العطرة، وومضات من حياته التي كانت حافلة وزاخرة بقيم البذل والعطاء، مع التركيز على جهوده في مجال الثقافة والتراث والتعليم، ومكانته في نفوس الكتّاب والمبدعين الإماراتيين، ودراسة قصائده النابضة بالعاطفة، الجياشة، والتصوير الفني واللغة الجميلة الماتعة.

واستهلّ العدد بخبر تكريم صاحب السمو حاكم الشارقة الفائزين بجائزة الشارقة الدولية للتراث الثقافي في دورتها الثانية (2017ـ2018)، معرّجاً على مشاركات المعهد الخارجية في كل من طاجيكستان، وتنزانيا، وإيطاليا، والاحتفال بليلة النصف من شعبان.

وقدّم العدد عرضاً بانورامياً عن فعاليات «أيام الشارقة التراثية» في دورتها السادسة عشرة، التي نظمت تحت شعار بـ«التراث نسمو» خلال الفترة (8ـ21 إبريل 2018)، وما اشتملت عليه من أنشطة ثقافية وبرامج تراثية تفاعلية، شكّلت بصمة إضافية إلى سجل «الأيام التراثية» الزاخر بالعطاء.

وشمل العدد موضوعات ثقافية وتراثية متنوّعة، عن الألعاب الشعبية والأكلات التراثية والحِرف والأمثال والفنون وغيرها كثير، كما استعرض مقاربات مهمة وقراءة متنوّعة عن العلاج بالحكاية، ورحلات القيظ في الإمارات، وكنوز التراث الإماراتي من الرواة وحملة التراث، مسلّطاً الضوء على آخر إصدارات معهد الشارقة للتراث.

صدر حديثاً

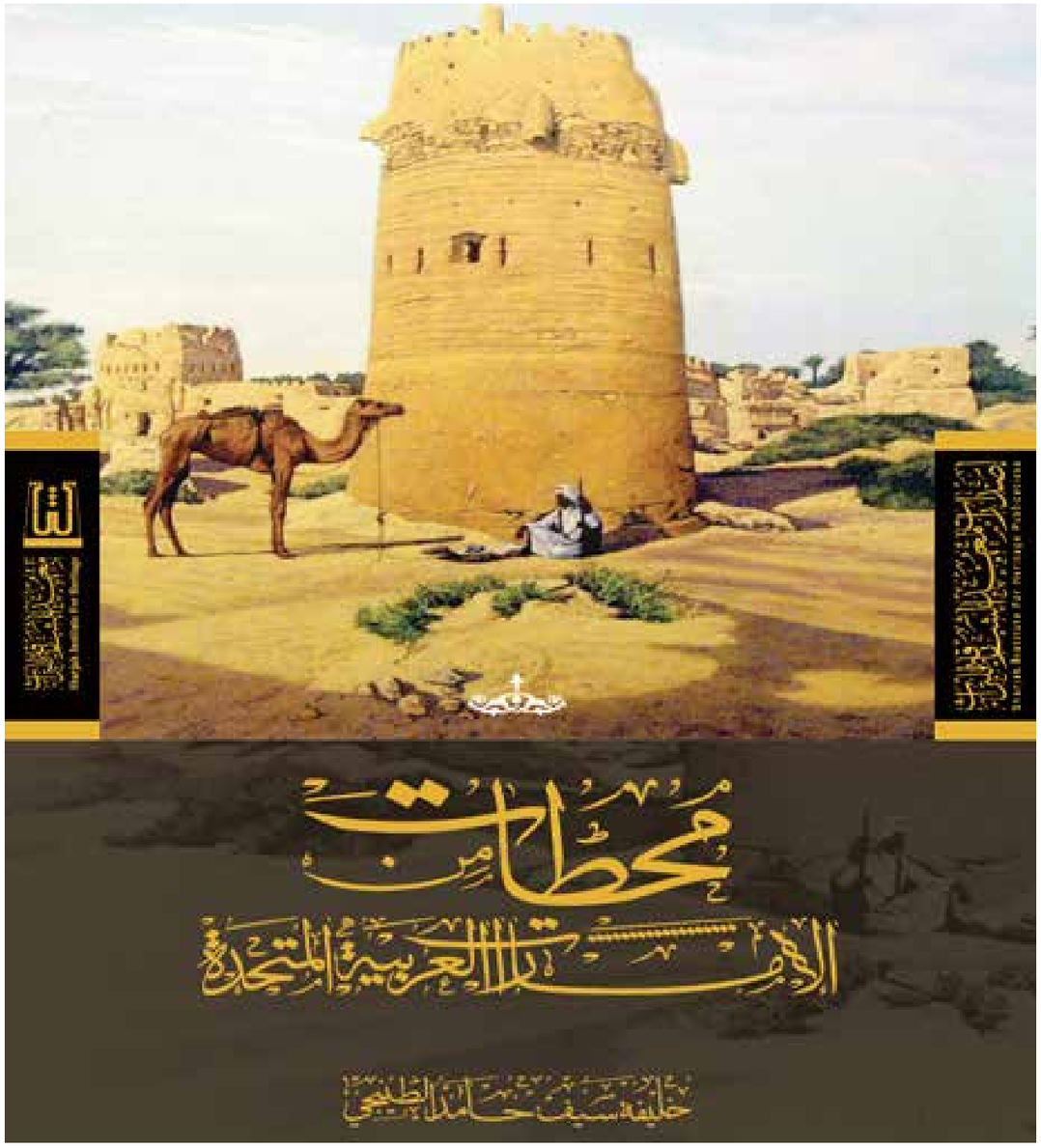

محتويات العدد

سلطان يكرّم الفائزين بجائزة الشارقة الدولية للتراث الثقافي
10

ملف الشهر
زايد.. مائة عام من التاريخ
14

«أيام الشارقة التراثية » تسمو بالتراث وتحتفي بـ 15 عاماً من العطاء
38

المعارض التراثية..
لوحات زاخرة بعبق الماضي
46

الافتتاحية
5

«الشارقة للتراث»
يستعرض تجربته دولياً
12

«حق الليلة »
تقليد تراثي عريق
13

فن النوبان
علي العشر
58

الأمثال الحسانية .. نظرة عابرة
60

ألعاب الفروسية في المغرب
62

تراث اليمن في الشارقة
52

قصائد «عام زايد »
عتيج القبيسي
54

«غزالٍ سَلبْني »
علي العبدان
56

بيوت جدة القديمة...
حكايات وذكريات
68

اليابان.. تقاليد راسخة
72

الأثر العربي في الحكايات الصومالية
78

80 سوالف الهامور

82 قوافل الحضار

86 التلي وتوهج الأناقة

88 علي بن رحمة الشامسي..
توثيق روح القيم التراثية شعراً

90 المقاهي البغدادية
حضور المكان والذاكرة

92 العلاج بالحكاية

94 المنسف الأردني:
من الحاجة إلى التفاخر بالأكلة اللذيذة

98 السجاد الجزائري والسجاد
العثماني ملتقى الحضارتين

101 ميزان الكتب

102 فينيق الأبدية

105 كاريكاتير

106 شرفة

مراود

رئيس التحرير
د. عبد العزيز المسلم
رئيس معهد الشارقة للتراث

مدير التحرير
د. منّي بونعامة

الهيئة الاستشارية
عتيج القبيسي
علي العبدان
د. محمد لملوكي

التصميم والإخراج الفني
منير حمود

التدقيق اللغوي
بسام الفحل

مجلة منوعة
تعنى بالتراث الثقافي
تصدر عن

معهد الشارقة للتراث
SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE

800TURATH
هاتف: 5092666 6 971+
انستغرام: marawed_sih
الموقع الالكتروني: www.sih.gov.ae

سلطان يكرّم الفائزين بجائزة الشارقة الدولية للتراث الثقافي

شـهد صاحـب السـموّ الشـيخ الدكتـور سـلطان بـن محمـد القاسـمي، عضـو المجلـس الأعلـى حاكـم الشـارقة في معهـد الشـارقة للـتراث، حفـل تكريـم الفائزيـن بجائـزة الشـارقة الدوليـة للـتراث الثقـافي في دورتهـا الثانيـة، في حقولهـا الثلاثـة، والموزعـة عـلى تسـع فئـات.

بـدأ حفـل التكريـم بالسـلام الوطنـي، تلتـه آيـات مـن القـرآن الكريـم، بعدهـا ألقـى الدكتـور عبدالعزيـز المسـلّم، رئيـس المعهـد الشـارقة للـتراث كلمـة، ثمّـن فيهـا جهـود صاحـب السـموّ حاكـم الشـارقة، ورؤيتـه الثاقبـة في حفـظ الـتراث ورعايـة العاملـين فيـه، وتوجيهـات سـموّه الراميـة إلى المحافظـة عـلى الـتراث الثقـافي، وصونـه ونـشره، وتوفـير الوسـائل الضروريـة المتنوّعـة للاضطـلاع بهـذه الغايـة النبيلـة، إلى جانـب الجهـود الكبـيرة التـي تقـوم بهـا إمـارة الشـارقة، في نطـاق الاهتـمام بالـتراث جمعـاً وتوثيقـاً ودراسـة وتحقيقـاً، حتـى غـدت نموذجـاً يحتـذى بـه.

وقـال: «لقـد حققـت الـدورة الثانيـة مـن الجائـزة الكثـير مـن الإقبـال النوعـي في مختلـف فروعهـا، ومـا يتفـرع عنهـا مـن حقـول محليـة، وعربيـة، وعالميـة، بفضـل الدعـم السـخي، والتشـجيع الكبـير الـذي حظيـت بـه الجائـزة، ولا تـزال، مـن صاحـب السـموّ حاكـم الشـارقة؛ حيـث اسـتطاعت في فـترة وجيـزة اسـتقطاب الأعـلام الرائـدة، والأقـلام الواعـدة في الـتراث الثقـافي، محقّقـة إضافـة نوعيـة، بوصفهـا الجائـزة الدوليـة الوحيـدة في دولـة الإمـارات، التـي تُعنـى بالـتراث الثقـافي، محتفيـة بكوكبـة مـن الخـبراء والـرواة والمختصـين والباحثـين».

وبـارك للفائزيـن، مهنئـاً إياهـم بالنجـاح والتكريـم، مشـيراً إلى أن المنافسـة كانـت قويـة مـن المشـاركين، مـن مختلـف الـدول، وتوزعـوا عـلى سـت دول.

ولفـت إلى اسـتحداث جائـزة «شـخصية العـام للـتراث الثقـافي»، لتكريـم الأفـراد والمجموعـات عـن مجمـل أعمالهـم وإسـهاماتهم القيّمـة في حقـل الـتراث الثقـافي، مؤكـداً أنهـا تفتـح أبوابهـا لاسـتقبال المشروعـات والبحـوث والدراسـات، لتوسـيع التواصـل الإنسـاني عـبر الـتراث، الـذي يشـكّل الرافـد الحقيقـي الـذي يجمـع البشريـة عـلى اختـلاف مشـاربها، لمـا فيـه مـن قيـم راقيـة تدعـو إلى تواصـل النـاس، والتفاعـل المسـتمر بينهـم.

وألقـى الدكتـور رشـاد سـالم، مديـر الجامعـة القاسـمية، عضـو لجنـة تحكيـم

شخصية العام للتراث الثقافي

جائزة أفضل الممارسات صونا لعناصر التراث الثقافي

جائزة أفضل بحث محلي

جائزة أفضل بحث عربي

الجائـزة، كلمـة اللجنـة، قـدم فيهـا الشـكر إلى صاحـب السـموّ حاكـم الشـارقة، عـلى رؤيـة سـموّه الحكيمـة والمسـتقبلية، في دعـم برامـج الإمـارة، التـي أصبحـت مقـراً وداعـماً رئيسـاً لكثـير مـن الفعاليـات في العـالم.

وقـال: «إن جائـزة الشـارقة العالميـة للـتراث الثقـافي، لـون جديـد يضـاف إلى الكثـير مـن جوائـز الشـارقة لبنـاء الإنسـان، والنهـوض بالإنسـانية، عـبر البرامـج العلميـة المدروسـة في مجـالات الثقافـة وحقولهـا بـكل أنواعهـا، مقدمـاً التهنئـة إلى الفائزيـن في دورة هـذا العـام».

بعدهـا تفضـل صاحـب السـموّ حاكـم الشـارقة، يرافقـه د.عبدالعزيـز المسـلم، بالصعـود إلى المنصـة، لتكريـم الفائزيـن بهـذه الـدورة، ومنحهـم الـدروع التذكاريـة والشـهادات التقديريـة.

وفـاز بـ «شـخصية العـام للـتراث الثقـافي» عـلي عبداللـه خليفـة، رئيـس المنظمـة الدوليـة للفـن الشـعبي، لإسـهاماته القيّمـة، وجهـوده الرائـدة في حقـل الـتراث الثقـافي حفظـاً وصونـاً.

وفي فـرع أفضـل الممارسـات صونـاً للـتراث الثقـافي، فـاز بفئـة جائـزة الممارسـات

جائزة أفضل راوٍ عربي

المحليـة نـادي تـراث الإمـارات، وفـاز بفئـة جائـزة الممارسـات العربيـة برنامـج خـادم الحرمـين الشريفـين للعنايـة بالـتراث الحضـاري للمملكـة، بينـما فـاز الحـرفي الصينـي جـن جوهـو، في فئـة جائـزة الممارسـات الدوليـة.

وفي فـرع الـرواة وحملـة الـتراث (الكنـوز البشريـة الحيّـة)، فـاز في فئـة جائـزة الراوي المحـلي عبداللـه السـويدي، وبجائـزة الـراوي العـربي فاطمـة سرحـان، مـن مـصر، ومـن المكسـيك فـازت روزا ماريـا، بجائـزة الـراوي الـدولي.

وفي فـرع «الباحثـون في الـتراث الثقـافي»، فـاز بجائـزة البحـث المحـلي الباحـث المرحـوم إبراهيـم العـوضي، عـن دراسـته «الأقمشـة الشـعبية في دولـة الإمـارات»، وتسـلمها نجلـه خالـد. وفي فئـة جائـزة البحـث العـربي فـاز أحمـد مبارك سـالم، من البحريـن، عـن دراسـته «الحيـاة الثقافيـة والاجتماعيـة في البحريـن قبـل مائـة عـام وانعكاسـها عـلى فـن الأهزوجـة».

أمـا جائـزة البحـث الـدولي، ففـاز بهـا زهـاو رونـغ قوانـغ، مـن جمهوريـة الصـين عـن دراسـته «الثقافـة الغذائيـة الصينيـة والتقاليـد المتوارثـة».

جائزة أفضل راوٍ دولي

كـما كـرّم سـموّه، مؤسسـة الشـارقة للإعـلام، والمكتـب الإعلامـي لحكومـة الشـارقة، لرعايتهـما الجائـزة إعلاميـاً. وتـشرّف أعضـاء لجنـة تحكيـم الجائـزة بالتكريـم الـذي منحهـم إيـاه صاحـب السـموّ حاكـم الشـارقة، وتـم التقـاط صـورة مـع سـموّه.

وعقـب نهايـة حفـل التكريـم، شـهد صاحـب السـموّ حاكـم الشـارقة، عرضـاً موسـيقياً فنيـاً تراثيـاً، مـن فرقـة جمهوريـة البوسـنة، المشـاركة في «أيـام الشـارقة التراثيـة»، قدمـت فيـه مجموعـة مـن اللوحـات الفنيـة التراثيـة.

كـما اسـتمع سـموّه إلى الراويـة الفائـزة فاطمـة سرحـان، التـي حيّـت جهـود سـموّه الكبـيرة في صـون الـتراث الثقـافي بـكل أنواعـه.

حـضر حفـل التكريـم، اللـواء سـيف الـزري الشـامسي، القائـد العـام لشرطـة الشـارقة، وعبداللـه العويـس، رئيـس دائـرة الثقافـة، ومحمـد عبيـد الزعـابي، رئيـس دائـرة التشريفـات والضيافـة، وعـدد مـن الباحثـين والمختصـين في الشـؤون الثقافيـة والمسـؤولين في دوائـر حكومـة الشـارقة.

«الشارقة للتراث» يستعرض تجربته دولياً

زيارة جمهورية طاجيكستان

زيارة جمهورية تنزانيا

زيارة مدينة تورينو – إيطاليا

يمضي معهد الشارقة للتراث بخطوات واثقة للتعريف بتجربته، والمشاركة الفاعلة والمتميزة دولياً في مختلف الأنشطة والفعاليات، وفي هذا الإطار قام وفد من المعهد برئاسة سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، والسيد صقر محمد، مدير إدارة التنسيق، بزيارة المؤسسات الثقافية والعلمية المعنية بالتراث الثقافي في جمهورية طاجيكستان، منها: المتحف الوطني الطاجيكي، ومعهد العلوم (استشراف الثقافات)، بالإضافة إلى المكتبة الوطنية التي تعد أكبر مكتبة في آسيا الوسطى، وذلك لبحث أطر التعاون المشترك بين الطرفين، والتعرف إلى التجارب المشتركة.

من جهة أخرى، قام سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، بزيارة جمهورية تنزانيا الاتحادية، في الفترة من 30 إبريل إلى 5 مايو، بدعوة من البروفيسور حمزة مصطفى إنجومي، رئيس جامعة موروقورو الإسلامية في تنزانيا، وذلك للمشاركة في افتتاح معهد التراث الثقافي في تنزانيا في مدينة كيلوا التاريخية. وقد اختيرت كيلوا لتكون مقراً للمعهد، نظراً لما تتمتع به من شهرة تاريخية، بمثابتها مركزاً لأزهى عصور الحضارة السواحيلية من القرن الحادي عشر إلى القرن الخامس عشر الميلادي. ويعدّ معهد التراث الثقافي في تنزانيا أول معهد مختص في علوم التراث بشرق إفريقيا، ويمنح درجة الماجستير والدكتوراه للدارسين تحت مظلته.

كما زار سعادة الدكتور عبدالعزيز عبدالرحمن المسلم، رئيس المعهد، رفقة السيد صقر محمد مدير إدارة التنسيق، مدينة تورينو بدعوة من عمدة المدينة ورئيس معرض تورينو للكتاب، وحضر وفد المعهد مراسم افتتاح المعرض حيث التقى عمدة المدينة لبحث اختيار الشارقة ضيف شرف للسنة القادمة وعمل التجهيزات اللازمة لذلك.

من جانبه أكد رئيس معهد الشارقة للتراث بأن اختيار الشارقة كضيف شرف للسنة القادمة دليل على المكانة المرموقة، التي تحظى بها إمارة الشارقة بفضل جهود حاكم الشارقة في إبراز الثقافة والتراث على الصعيد المحلي والدولي.

«حق الليلة» تقليد تراثي عريق

يحتفي معهد الشارقة للتراث كل عام بليلة «النص» من شعبان، من خلال إعداد برنامج خاص للأطفال والأهالي والمؤسسات ذات الصلة المشتركة. ويطلق الأطفال على هذه المناسبة التراثية العتيقة «من حق الليلة»، وهي واحدة من الاحتفالات الشعبية الإماراتية القديمة، ويتم الاستعداد لها بوقتٍ كافٍ، من خلال تجهيز الملابس الشعبية الجميلة ذات التطريز، والخيوط الملوّنة بالنسبة للبنات. أما الأولاد، فيرتدون أجمل الثياب (كندورة جميلة بألوان هادئة، وقحفية مطرزة)، ويعلقون في رقابهم أكياساً قماشية مميزة، يسمى واحدها «خريطة»، ويرددون: «عطونا الله يعطيكم.. بيت مكة بوديكم».

تضمنت فعاليات هذا العام من «حق الليلة» أنشطة عديدة ومتنوّعة، تفاعل معها الأطفال بشكل حيوي لافت، وتوزعت الفعاليات التي بدأت في الثامنة صباحاً في مقر معهد الشارقة للتراث، ومن ثم في «البيت الغربي»، واستهدفت الفعاليات طلبة المدارس، وموظفي معهد الشارقة للتراث، وكل محبي هذا النوع من الفعاليات من عشاق التراث والمهتمين، وأفراد المجتمع من مختلف الفئات العمرية. تضمنت الفعاليات استقبال الأطفال في «البيت الغربي»، وتعريفهم بحق الليلة، وورش عمل صناعة فانوس ورقي، واستضافه الحكواتي عبدالناصر التميمي، لسرد معلومات، وقصه حول شهر شعبان، وفقرة مواهب للطلبة، وركن دكان الطيبين، وأكلات شعبية، وتوزيعات عبارة عن خريطة تحتوي على مجموعة من الحلويات. وقالت خولة الشامسي، مديرة إدارة الأنشطة والفعاليات في معهد الشارقة للتراث: «كما هي الحال في كل عام في منتصف شهر شعبان، نحرص في المعهد على تنظيم فعالية النصف من شعبان، المعروفة شعبياً وثقافياً وتاريخياً بـ(حق الليلة)، وسرنا كثيراً بحجم التفاعل من قبل الأطفال مع احتفالات (حق الليلة)، التي ما زالت تحظى بحضور وتقدير من قبل المجتمع الإماراتي، وينتظرها الكبار والأطفال، حيث يتعلم الصغار من خلالها الكثير من عناصر ومكوّنات التراث الشعبي المتعلق بعادات وطقوس هذه الاحتفالية التراثية».

وتسهم هذه الفعالية في نقل المعارف التراثية والتقاليد القديمة في المناسبات الدينية إلى الأطفال والنشء، وبثّ قيم حب الخير والتكافل والتراحم في نفوسهم، كما أنها تحث جميع أفراد المجتمع على ضرورة التمسك بهويتهم الوطنية، والحفاظ على عاداتهم وتقاليد الآباء والأجداد.

وعلى الرغم من تطور العصر واختلاف نمط الحياة والمعيشة عن السابق، إلا أن المجتمع الإماراتي ما زال محافظاً على مثل هذه الفعاليات التراثية الأصيلة، حريصاً على تخليدها والاحتفاء بها في وقتها من كل عام، وهذا ما يعمل معهد الشارقة للتراث على تأكيده وترسيخه في القلوب والنفوس.

ملف الشهر

زايد.. مائة عامٍ من التاريخ

زايد صانع الفرق

زايد والتراث

زايد رائد تعليم المرأة في الإمارات

زايد وتراث الإمارات.. قصة عشق خالدة

زايد في عيون الباحثين

زايد والصقارة

المعارف الشعبية المرتبطة بأفلاج الإمارات

زايد صانع الفرق

د. منّي بونعامة

ولد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، في قلعة الحصن عام 1918، وتربى وترعرع في كنف والده الشيخ سلطان بن زايد، ومنه تعلّم مبادئ السياسة، وأمور الحكم، حيث كان يتردّد على مجلسه منذ صباه، وينحدر نسبه من قبيلة بني ياس فرع آل بوفلاح.

تعلّم زايد القرآن في صغره، ومهر في الفروسية والقنص في سنّ مبكرة من عمره، وظهرت عليه ملامح النبوغ والذكاء، فكان دائم الفكر والتأمّل في واقع قبيلته ومحيطه، وكابد صنوفاً عديدة من المصاعب والنكبات والأزمات العنيفة، وهو ما زال في المهد صبياً، مما أسكب شخصيته قوة وتماسكاً، وقدرة على تجاوز العقبات والشدائد.

في عام 1946 أصبح الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، حاكماً لمدينة العين، وما إن تولى الحكم في هذه المدينة وتوابعها، حتى طارت شهرته بين الناس، وذاع صيته بين عرب البادية، فكان محط تقدير وإعجاب منهم، لحزمه وحسن تسييره أمور المنطقة.

وقد استهلّ الشيخ زايد منصبه الجديد بالنظر في أمور الناس، وإصلاح أحوالهم، فاهتمّ بالزراعة واستصلاح أراضٍ زراعية جديدة، وبناء الأفلاج، وإنشاء القنوات التي توصل الماء من الأفلاج إلى الأراضي الزراعية، وتطهير تلك الأفلاج والقنوات مما علق بها جراء الحروب. كما اعتنى الشيخ زايد خلال هذه الفترة بالتجارة والتعليم، فقام ببناء سوق كبير في مدينة العين، وأسّس المدرسة الابتدائية النهيانية بجهوده الخاصة عام 1959، فضلاً عن تحسين مرافق البلديات في مدينة العين، وتطويرها، ووضعِ مولّد كهربائي، بهدف إنارة الشوارع على أعمدة خشبية، وإنشاء إدارة للمرور خلال الفترة الأخيرة من ولايته.

كانت تلك الأعمال والإنجازات أكبر باعث ودافع لشهرة الشيخ زايد، رحمه الله، وذيوع صيته بين الناس، مما أهّله لتولي حكم إمارة أبوظبي وتوابعها في أغسطس 1966، حيث أسهم في التسريع بعملية البناء والتشييد، وأحدث نقلةً نوعية شهدتها أبوظبي، انطلاقاً من عام 1966، ولم تثنِ عزيمة زايد حينها صعوبة التغلّب على الصحراء والرمال، وتحويلها إلى واحة غنّاء، بل كان عزمه وإصراره دافعاً ومحفّزاً له على تكبّد العناء والمشقّة سبيلاً إلى تحقيق غايته الأسمى.

مواقف خالدة سطّرها الراحل الكبير الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رحمه الله، بأحرف من ذهب، وكان أهمّها وأبرزها تأسيس دولة الإمارات العربية المتحدة، وجمع شمل إماراتها السبع تحت راية واحدة، وضمن اتحاد فيدرالي أقامه الشيخ زايد وإخوانه حكام الإمارات، وتم الإعلان عنه في الثاني من ديسمبر عام 1971.

ترأس الشيخ زايد، رحمه الله، الاتحاد الوليد، وبنى دولة قوية ومزدهرة، تنعم بالخير والأمن والأمان، وأصبح لها حضور فاعل مؤثر في المحافل الدولية، وغدت أنموذجاً فريداً يحتذى به في البناء والتقدّم والازدهار.

وفي صبيحة الثاني من نوفمبر عام 2004، توفي الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، وصانع اتحادها، بعد أكثر من ثلاثة عقود قضاها في بناء الدولة وتطويرها. أعوامٌ مضت على رحيل المغفور له

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، وكأنها لم تكن سوى إغفاءة سريعة، ولا يزال لاسمه ورسمه وقع خاص في مسامع كل الناس، ولا يخلو مجلس من ذكره، أو حديث من استحضار شذرات من سيرته ومواقفه وإنجازاته، محلياً وعربياً وعالمياً، من دون كلل أو ملل.

أعوامٌ مرت على رحيل رجل السياسة والدولة والاقتصاد والتنمية والشعر والتراث والثقافة والبيئة والزراعة، والعدل والاعتدال والتسامح، والتضامن، والإنسانية، ولا تزال الأنفس تلهج له بالدعاء والشكر والإطراء، وهو جدير بذلك بلا ريب.

لقد شهد بريادة زايد وبراعته ونظرته المستقبلية الثاقبة الأجانب قبل الأقارب، وجاءت شهاداتهم متواترة وصفاً وتوصيفاً لقائد فذّ كان، ولا يزال، حاضراً بيننا حتى في تفاصيل حياتنا اليومية.

كتب دونالد. إف.هاولي، المعتمد السياسي البريطاني في دبي في الفترة ما بين 1958 و1961، حينما زار «الإمارات المتصالحة» (دولة الإمارات العربية المتحدة حالياً)، في الفترة ما بين 28 ديسمبر/ كانون الأول 1968 إلى 2 يناير/ كانون الثاني 1969: «إن التحوّل في أبوظبي ضربٌ من الذهول.. هنا كل شيء يمشي على قدم وساق، ومعدّل التنمية الحالية هائل.. إن النمو في الزراعة عظيم جداً، ولقد كان مثلجاً للصدر رؤية هذا القدر من الاهتمام منصباً عليها».

هذه الشهادة تعتبر اعترافاً صريحاً من هاولي بمكانة المغفور له، بإذن الله تعالى، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رحمه الله، ودوره في تنمية إمارة أبوظبي وتحضرها، وقد سار إدوارد هندرسون، الوكيل السياسي البريطاني في أبوظبي (1959-1961) على منوال سابقه، كما اعتبر الكاتب البريطاني كلود موريس في كتابه «صقر الصحراء»، أن نشأة الشيخ زايد، رحمه الله، لا تقل عن المعجزة، كما تزخر الكتابات الأخرى، وخاصة الأجنبية، التي سُطّرت حول زايد، بصورة مشرقة لرجل أضاء ظلمة المكان، وأنار دروب الحياة بنور العلم والمعرفة.

ولم يكن الشيخ زايد، رحمه الله، رجل سياسة وحكمة وحزم وتدبير حاز قصب السبق على أقرانه، وفاق أهل عصره وأوانه، فحسب، بل كان صاحب فكر ونظر ورؤية مستقبلية، لمسها كل من جالسه أو قابله، وحمل على عاتقه النهوض بالدولة والمجتمع الإماراتي ثقافياً وتعليمياً، وأرسى صروح العلم والمعرفة، وشيّد الجامعات والمعاهد ومراكز الأبحاث، وافتتح معرض أبوظبي للكتاب، فكان، ولا يزال، الوجهة الثقافية الرائدة التي تستقطب دور النشر المحلية والعربية والعالمية، وكبار المثقفين والمفكرين من جميع أنحاء العالم، وبوّأ الكتاب مكانة مرموقة في المجتمع والوسط الثقافي الإماراتي.

ترجل زايد القائد الرائد المبدع.. حكيم العرب وصقر الصحراء وفارس الإمارات، بعد أن أسّس كياناً موّحداً ناهضاً، غدا أنموذجاً يحتفى به في المحافل الدولية، وعمّ فيض عطائه الإنساني في كل قطر ومِصر.

في الملف التالي مقاربات ورؤى من وحي سيرة الراحل الكبير، يحاول فيها نخبة من الباحثين مقاربة جانبٍ من جوانب السيرة العطرة للمغفور له، بإذن الله، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، والاحتفاء بمنجزه، واستذكار أعماله التي ملأت الدنيا محبة وسعادة وسلاماً، وفيض عطائه وكرم سخائه الذي عمَّ البشرية جمعاء أينما كانت.

زايد والتراث

أسماء الزرعوني
شاعرة وروائية إماراتية
asma_alzaroni@hotmail.com

كلما نظرت حولي انبهرت بالعمران وناطحات السحاب، وفي الجانب الآخر أجد التاريخ يحكي قصتنا بكل فخر، فأسترجع مقولة والدنا وباني نهضتنا، الشيخ زايد، طيّب الله ثراه، وكلمته الرنانة «ماضينا يعانق حاضرنا»، فعلاً هذا ما نراه في الإمارات المحافظة على الماضي الجميل بكل تفاصيله، من عادات وتقاليد وإرث، جيل بعد جيل، إذ كان اهتمامه، رحمة الله عليه، بالتراث كاهتمام الأب بابنه.

يعتبر التراثَ مكوّناً رئيساً من مكونات الهوية والوطنية، لذا كان حريصاً أشد الحرص على صون التراث والقيم المنبثقة منه، وإيصالها إلى الأجيال القادمة، فإنشاء مؤسسات تهتم بالتراث كنادي تراث الإمارات والمتاحف المنتشرة في الإمارات، التي تحكي قصة الإنسان الإماراتي من الماضي إلى الحاضر، كما لم ينسَ الرياضات التراثية من سباق الهجن وغيره، لأهميتها في حياة الإنسان، كبناء الشخصية، وإكسابها الكثير من الصفات الحميدة، مثل القوة والصبر والجَلَد، والاعتماد على النفس، كان هو في مقدمة ممارسي هذه الرياضات ليشجع شعبه عليها، رغم انشغاله الكبير بأمور الدولة الحديثة.

كان الشيخ زايد شاعراً وحكيماً، يقرض الشعر الشعبي ويحفظه، فكان اهتمامه بالشعراء الشعبيين، وإقامة مجالس للشعر في أنحاء دولة الإمارات، وخصص لهم صفحات في الجرائد والمجلات، وأيضاً عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، ولم يقتصر اهتمامه على ذلك فقط، بل اهتم بالفنون الشعبية الإماراتية، وأوجد لها مكانة لممارستها، وشجع على ذلك، باعتبارها جزءاً من ثقافة المجتمع، وإلى الآن هذه الفنون الجميلة حاضرة في مناسباتنا الوطنية والاجتماعية.

ومن أقواله طيّب الله ثراه، إن الجيل الجديد يجب أن يعرف كم قاسى الجيل الذي سبقه، لأن ذلك يزيد من صلابته وصبره، وجاهد لمواصلة المسيرة التي جسدت في النهاية الأماني القومية بعد فترة طويلة من المعاناة ضد التخلف والحرمان.

لابد من الحفاظ على تراثنا القديم؛ لأنه الأصل والجذر، وعلينا أن نتمسك بأصولنا وجذورنا العميقة، فعلاً كانت كلماته وثيقة رسمناها في ذاكرتنا، وترجمناها على أرض الواقع، فـ«أيام الشارقة التراثية» تجد فيها كل ماضي الإمارات الأصيل والجميل، تنبض فيه نِعم الإمارات حاضرة بتراثها وماضيها المشرّف، فكلنا شربنا من نهر زايد العظيم، في حفظ هذا التراث، وإن زائر المدينة الباسمة، شارقة الإبداع، يجد فعلاً عناق الحاضر والماضي في منطقة الشارقة التراثية، واهتمام صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، حفظه الله، بإنشاء معهد للتراث، لتدريس التراث وتوثيقه وحفظه، بالإضافة إلى فعاليات كثيرة تجعلنا نعيش تفاصيل ماضينا المضيء.

زايد رائد تعليم المرأة في الإمارات

سعاد كلباني - مراود

حظيت المرأة الإماراتية في عهد زايد بكل ما كانت تطمح إليه من تقدير واحترام، وحبّ ورعاية واهتمام، وفرص للنجاح والتقدم، وخدمات وعناية للنهوض بها، فعندما نتحدث عن المرأة في عهد زايد، نتوقف بالإشارة إلى موقف سموه، رحمه الله وطيّب ثراه، من المرأة عموماً؛ فقد احترم المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، المرأة أمّاً وزوجة وأختاً وابنة وإنسانة، ووجه بالاهتمام بها من واقع الشريعة الإسلامية، ومن واقع المنطق، فكفل لها كل أشكال الرعاية والاهتمام في دستور الدولة، كما اتضح ذلك جلياً، إذ سجل التاريخ شواهده فيما تحقق للمرأة الإماراتية من تقدم وتطور وإنجاز في عهده، رحمه الله.

ومن ناحية التعليم، جسّد تعليم المرأة أحد العناصر الرئيسة في مسيرة النهضة الحضارية التي أرسى دعائمها المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد، طيّب الله ثراه، فقد آمن القائد

المؤسس بدور المرأة ورسالتها في المجتمع كشريك أساسي في عملية التنمية الوطنية، ودشن «زايد الخير» نموذجاً فريداً لتعليم المرأة، يجمع بين الحفاظ على هويتها وخصوصيتها في المجتمع، وانفتاحها على العصر.

ولم تقف جهود القائد المؤسس عند هذا الحدّ، فقد حمل على عاتقه مسؤولية توفير بيئة متميزة لتعليم المرأة، وشجّع الأسر على إلحاق بناتها بالتعليم، وأنشأ لهذا الغرض مدارس لتعليم الطالبات، توفر لهنّ الإبداع والريادة، وتصقل شخصية الطالبة، وتفتح أمامها آفاقاً واسعة للمشاركة في خدمة التنمية الوطنية، وبناء المجتمع، وتم ذلك كله بدعم وتشجيع من سمو الشيخة فاطمة بنت مبارك، رئيسة الاتحاد النسائي العام الرئيس الأعلى لمؤسسة التنمية الأسرية رئيسة المجلس الأعلى للأمومة والطفولة (أم الإمارات)، التي كان لها، ولا يزال، قصب السبق في تدشين مسيرة نسائية، شكّلت نموذجاً يحتذى لنهضة المرأة، عربياً وإقليمياً ودولياً.

ومن مظاهر اهتمام الشيخ زايد بتنمية وتعليم المرأة، أصدر توجيهاته، طيّب الله ثراه، بإنشاء أول جمعية نسائية في دولة الإمارات العربية المتحدة في عام 1973، باسم جمعية نهضة المرأة الظبيانية، وتعد أول تجمع نسائي في الدولة، وكان ذلك مبكراً، بعد قيام الاتحاد بعامين فقط، ونجحت الجمعية في استقطاب العديد من النساء، وكان محو الأمية أهم أهدافها، وبعدها تم تأسيس خمس جمعيات نسائية في الشارقة وعجمان ورأس الخيمة وأم القيوين والفجيرة.

وكان التعليم في إمارة أبوظبي وبقية الإمارات في أوائل هذا القرن فيما يسمى الكتاتيب أو نظام المطاوعة، وقد جرت العادة أن يطلق هذا المفهوم في الأماكن المستقرة سكانياً على من لديه معرفة بالقرآن وأحكام الدين، ويجيد القراءة والكتابة، ويقوم بتعليم الأطفال بصورة منتظمة في مكان محدد، وقد تشابه هذا النوع من التعليم في الإمارات مع التعليم في كثير من البلدان العربية، والتعليم في معظم البلدان عرف باسم الكتاتيب، فإن التعليم في الإمارات عرف باسم المطاوعة.

وفي عهد الشيخ شخبوط بن سلطان، كان هناك الكثير من الخطط التنموية التي لم ينفذ منها الكثير، ولكن عندما تولى الشيخ زايد مقاليد الحكم عام 1966، بذل ما في وسعه لتنفيذ الخطط التنموية، ومنها التركيز على بناء نظام التعليم، حيث فتحت مدارس البنين جنباً إلى جنب مع مدارس البنات، وعلى الرغم من التأخر النسبي في دخول التعليم النظامي إلى أبوظبي، إلا أنه أخذ يخطو خطوات سريعة، فبحلول عام 1966 كانت هناك خمس مدارس في

الإمارة، وبالنسبة إلى مدارس البنات فالإقبال على التعليم من قبل الفتيات في ذلك الوقت كان يشكل ظاهرة تستحق الانتباه، فعدد الفتيات كان يراوح بين 90 و100 طالبة، وكانت أبوظبي في منتصف الستينيات مازالت مجتمعاً مغلقاً وقبلياً، عكس بقية الإمارات، حيث كانت تنحصر نشاطات المرأة فيها بالأعمال المنزلية، ثم الزواج، ولم يكن من السهل إقناع الجيل القديم من الآباء والأمهات بتوجيه البنات نحو المدارس وتلقيهنّ التعليم.

لذلك قرّر الشيخ زايد أن يخوض معركة تشجيع تعليم المرأة بنفسه، لإيمانه بأن الدور الأكبر في تربية الأبناء يقع على عاتق المرأة، وأن المرأة المتعلمة خير من المرأة الجاهلة، حيث قام بزيارة الأسر، لإقناع أولياء أمور الفتيات بأهمية إلحاق بناتهم بالمدارس، وشجّعهم على أن تذهب الفتاة للمدرسة، من خلال جملة من الحوافز المادية، وأشكال الرعاية الاجتماعية والنفسية والصحية، وقد شملت هذه الحوافز:

* دفع رواتب شهرية للطلبة في بعض المراحل التعليمية.
* تقديم وجبة غذائية كاملة في الساعة العاشرة من كل يوم دراسي لجميع طلاب وطالبات التعليم ما قبل الجامعي.
* تقديم الكتب وجميع القرطاسية اللازمة مجاناً.
* تقديم الزيّ المدرسي والملابس الرياضية مجاناً.
* تقديم وسائل النقل ما بين البيت والمدرسة مجاناً.
* تقديم الخدمات الصحية من تطبيب وعلاج مجاناً.
* تقديم الرعاية الاجتماعية القائمة على الأسس العلمية الحديثة المتعلقة بمعالجة الطفولة والمراهقة معالجة تضمن للطلبة نمواً سليماً.
* القيام بحملات إعلامية في أجهزة إعلام أبوظبي كافة؛ لشرح أهمية إلحاق الفتيات بالمدارس.

وبتوجيهات من الشيخ زايد، وبعد قيام الاتحاد حظي التعليم برعاية مستمرة ودعم مادي ومعنوي لا محدود من الشيخ زايد، حيث عمل على توفير كل المؤسسات التعليمية، وأكسب سياسات التعليم أحدث التوجهات التعليمية في العالم، وأخذت الدولة على عاتقها التزامات تربوية أساسية، من أهمها: تحقيق مبدأ ديمقراطية الفرص التعليمية للجميع، ذكوراً وإناثاً، والتسليم بأن التعليم حق شرعي

لكل المواطنين بلا استثناء، وتوصيل العلم والمعرفة إلى كل المناطق التي يقيم المواطن فيها، وعدم الاقتصار على المراكز الحضرية فقط، وتحقيق مبدأ التكامل في جهود المؤسسات الرسمية وغيرها، من التي تعنى بالتربية والتعليم.

إن الحديث عن المرأة والتعليم في «عهد زايد»، هو حديث عن منجزات حضارية يفاخر بها الوطن العالم كله، فالمرأة الإماراتية غدت مع هذه النهضة الحضارية عنواناً بارزاً على مستوى العالم بكل تميز وابتكار، وريادة وإبداع.

واليوم ونحن نحتفي بـ«عام زايد 2018»، فإننا نسلّط الضوء على محور تعليم المرأة، الذي شكل أحد التحديات الرئيسة التي واجهت القائد المؤسس في مجتمع محافظ، تحكمه قيم وتقاليد، ففي الوقت الذي كانت فيه المرأة تعيش وراء أستار الجهل والتهميش والنسيان، كان هناك قائد عظيم بفكره ورؤيته، واستشرافه للمستقبل، قائد آمن بأن المرأة هي نصف المجتمع، وأنه لا يمكن لمجتمع أن يبدع ويزدهر إذا كان نصفه معطلاً، ومن هنا جاء عطاء زايد للمرأة الإماراتية، التي أعلى مكانتها، ودفع بها إلى منصات التميز، فكانت هذه النهضة التي نراها اليوم، وتلك المسيرة المفعمة بالتميز والريادة، من قبل المرأة الإماراتية في جميع ميادين العمل والتنمية.

تحقيق

زايد وتراث الإمارات..
قصة عشق خالدة

يسرى ناصر المهنا
كاتبة صحفية ـ العراق

لم يكن المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رحمه الله، مؤسّس دولة أو قائداً من الطراز الأول فقط وإنما كان أباً روحياً لهذا الشعب الأصيل، حيث أولى المغفور له الشيخ زايد بعنايته واهتمامه كل ما يخص هذا الشعب من جوانب روحية وإنسانية ومادية. والتراث باعتباره مكوناً رئيساً من مكونات الشخصية والهوية والثقافة الإماراتية نال من عنايته ورعايته الشيء الكثير، وبذل في إحيائه والحفاظ عليه واستمراريته ونقله للأجيال الجديدة الجهد الجهيد.

فقد أمر الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رحمه الله، بإنشاء مؤسسات مختصة بهذه المهمة وخصص لها ميزانيات كبيرة من بينها «مركز زايد للدراسات والبحوث»، و«نادي تراث الإمارات»، الذي تأسس سنة 1993، وقام بدور مهم في المحافظة على التراث وصيانته، كما أمر بإنشاء «قرى التراث»، التي تمثل متاحف مفتوحة لتعريف روادها بالتراث الإماراتي، وشكل الحياة في الإمارات قديماً.

وقد نالت الرياضات والمسابقات التراثية مكانة بارزة لدى الشيخ زايد، رحمه الله، حيث نشأ على ممارستها والشغف بها، وأدرك أهميتها في بناء شخصية الإنسان، وأولى المغفور له كل الدعم لسباقات الهجن، فأمر بإنشاء مضامير السباقات والمهرجانات التي تقام كل عام، حيث تعد سباقات الهجن العربية الأصيلة الأكثر شعبية في الدولة، لما فيها من إثارة وتشويق، وإحياء للتراث الشعبي وتجتذب عدداً كبيراً من الملاك والمضمرين، ليس فقط داخل الدولة، بل في كل دول منطقة الخليج العربي.

كما اهتم، رحمه الله، برياضة الصيد بالصقور، وشجّع على ممارستها، حيث كانت من أحب الهوايات إلى قلبه، فقد كان يحرص على ممارسة هذه الرياضة، رغم زحام مسؤوليات الحكم ومهام الدولة، مؤمناً بأن هذه الرياضة جزء أصيل من التراث الشعبي الإماراتي.

كما حظي الشعر لا سيما النبطي منه باعتباره إحدى دعائم الثقافة والتراث العربي والخليجي، باهتمام كبير من الشيخ زايد، الذي لم يكن محباً للشعر والشعراء فقط، لكنه كان شاعراً، وله الكثير من القصائد الشعرية، ودارت بينه وبين شعراء الدولة مساجلات شعرية، كما اهتم الشيخ زايد بإقامة مجالس الشعر في مختلف أنحاء الدولة، ورفع مكانة الشعراء وشجعهم أيضاً، كما لم تغب الفنون الشعبية والتقليدية عن اهتمام الراحل المؤسس، فشجع إنشاء الفرق التي تقدم الفنون الإماراتية الشعبية الأصيلة.

وفي حديثه عن دور المغفور له الشيخ زايد في حفظ وصيانة التراث، أوضح عبيد بن صندل (باحث في التراث ومدير بيت الألعاب الشعبية في الشارقة)، أن المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وبحكم نشأته البدوية الأصيلة، تبنّى أسلوب الحياة التقليدية بكل تفاصيلها؛ فقد كان ملماً بالمعارف والمهارات الشعبية ذات العلاقة بالحياة البدوية، كسباقات الإبل وتربية الصقور والقنص بها، التي كان يقول عنها «إن هذه الرياضة وسيلة للتخلص من هموم العمل اليومية وجلي النفس، فضلاً عن أهميتها في اكتساب مهارات بدنية واجتماعية»، وكذلك كان، رحمه الله، يهتم بالرياضات التراثية الأخرى كالفروسية والسباقات البحرية.

ويضيف عبيد بن صندل أن اهتمام المغفور له الشيخ زايد بالتراث، تم من خلال إنشاء الهيئات والمؤسسات والأندية والقرى العاملة في مجال التراث، وكذلك امتد هذا الاهتمام ليشمل الناحية البحثية، في مجالات التراث الشعبي المتعددة، كإنشاء العديد من المراكز البحثية التي قامت بإصدار العديد من الأبحاث والدوريات المحكمة، وتنظيم العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية، كالمؤتمرات التي احتضنها مركز زايد للتراث والتاريخ.

ويتابع عبيد بن صندل أن اهتمام المغفور له الشيخ زايد بالتراث الشعبي لم يقتصر فقط على النطاق المحلي، بل سعت القيادة إلى نشره على النطاق العالمي، وذلك من خلال المشاركة في أجنحة المعارض الدولية، إضافة إلى تنظيم بعض الرياضات التراثية في عدد من عواصم العالم، كسباق الهجن الذي تم تنظيمه خلال الأعوام الماضية في كل من ألمانيا

أحمد الشحي

دكتورة موزة غباش

عبيد بن صندل

وأستراليا، وكان ذلك برعاية اتحاد سباقات الهجن، وكذلك سباقات الخيول، التي يتم تنظيمها بشكل دوري في كل من باريس ولندن وأمستردام، بهدف التعريف بالحصان العربي، ودوره في التاريخ والحضارة العربية، بالإضافة إلى إقامة العديد من المهرجانات الشعبية والاحتفالات التراثية والألعاب الشعبية التي توضح لنا مدى اهتمام القيادة السياسة في دولة الإمارات برعاية التراث الشعبي، والعمل على إحيائه ونشره؛ لأهميته في الحفاظ على الشخصية الثقافية والحضارية المتميزة لمجتمع الإمارات.

وفي كتابها المعنوّن «هويتي»، الذي استغرقت عشر سنوات للانتهاء منه، منذ عام 2008، وهي السنة التي أعلن فيها صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، عاماً للهوية، تحدثت الدكتورة موزة غباش عن دور المغفور له الشيخ زايد بن سلطان، رحمه الله، في حفظ الهوية الإماراتية، والتراث باعتباره مكوناً رئيساً من مكونات الهوية الإماراتية، فمفهوم الهوية هو جذور وتاريخ وجغرافيا ولغة ودين وتراث، وقد اهتم الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، بالتراث، ودعا إلى الحفاظ عليه، كونه يمثل هوية الإنسان، لأن الماضي يمثل صورة الأجداد، ومادام الإنسان لا ينشأ من فراغ، فإن سموه أكد أن من لا ماضي له لا حاضر ولا مستقبل له.

ويقول الدكتور راشد المزروعي، الباحث المتخصص في التراث والشعر الشعبي:

«إن التراث كان حاضراً في الموضوعات التي تناولها المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، في قصائده، فعلى الرغم من أن قصائده تحمل في ثناياها هموم الوطن والأمة، وأنها تميزت بملمح مهم، هو بعدها الإنساني والعربي، إلا أنه، رحمه الله، نهل من الأدب الشعبي بأسلوبه الخاص، وذخرت قصائده بالمفردات المحلية التراثية، كالعيون والأفلاج والهجن والصقور وغيرها من مفردات التراث».

ويقول أحمد الشحي، نائب رئيس الجمعية الدولية للألعاب الشعبية، «إن كلمات المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، كانت تمثل دروساً لنا، فكيف ننسى مقولته الشهيرة (من ليس له ماضٍ ليس له حاضر)؟! فقد كان، رحمه الله، يرعى بنفسه وزارة الثقافة وفعالياتها ومناسباتها، ويشجع المواطن على الالتزام بثقافته وأزيائه الشعبية، وكان حريصاً على وضوح الهوية الإماراتية، ومن شدة حرصه واهتمامه بالتراث، فقد كان، رحمه الله، يحضر بنفسه المهرجانات والمناسبات التراثية، مثل مهرجانات وسباقات الإبل والخيول والقوارب الشراعية والصقور، وكان يحرص على تكريم المتسابقين بنفسه، كما كان حريصاً على ممارسة الرياضات التراثية مثل الصيد بالصقور، فقد كان، رحمه الله، يشارك شعبه بها من خلال الرسائل المصوّرة التي كانت تعرض في التلفزيون أثناء سفراته وممارسته رياضته التراثية المفضلة».

وتبقى مقولات المغفور له الشيخ زايد نبراساً يضيء الطريق للأجيال الجديدة، فمقولته الخالدة «لقد ترك لنا الأسلاف من أجدادنا الكثير من التراث الشعبي، الذي يحق لنا أن نفخر به، ونحافظ عليه، ونطوره ليبقى ذخراً لهذا الوطن وللأجيال القادمة»، ومقولته الأخرى «على شعبنا ألا ينسى ماضيه وأسلافه، وكيف عاشوا وعلى ماذا اعتمدوا في حياتهم، وكلما أحسّ الناس بماضيهم أكثر، وعرفوا تراثهم، أصبحوا أكثر اهتماماً ببلادهم، وأكثر استعداداً للدفاع عنها»، فهذه المقولات وغيرها تلخص الاهتمام والرعاية والحرص الذي كان المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، يوليه للتراث الشعبي في دولة الإمارات.

دراسة

زايد في عيون الباحثين

محمد عبدالله نور الدين
كاتب وناقد ـ الإمارات

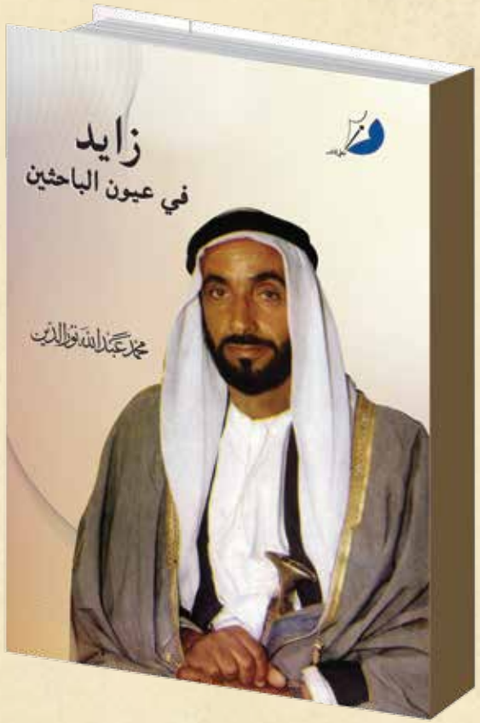

يسير شعر المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، في اتجاه متفرّد أراده الشاعر ليحقق به أهدافاً سامية وغاياتٍ نبيلة، ويجد المستمع في شعره هيبةً، يستمدها من المنزلة الرفيعة التي يحظى بها الشيخ زايد في نفوس الناس، وكذلك أيضاً تعتري الباحثين رهبةٌ في تناول هذه الشخصية، وكلّ ما يرتبط بها، فتجد أقلامهم عاجزة، وأفكارهم حائرةً في احتواء هذا المحيط الواسع بالبحار الممتدة امتداد الآفاق من كل جانب.

الدكتور غسان الحسن

ويمثّل ذلك الدكتور غسان الحسن في صورة واقعية معبّرة، حينما يتذكر مهمة أُوكلت إليه لمساعدة الخطاط محمد مندي في كتابة قصيدة واحدة من قصائد الشيخ زايد، يرحمه الله، فأحس حينها وهو يحمل قصيدة واحدة أن الورقة التي كانت بين يديه أثقل بكثير من الموسوعة البريطانية... فإن كان هذا موقف الدكتور غسان، وهو رجل أكاديمي متخصص بالأدب، فلا عجب أن يقف الباحثون في حيرة أمام تناول هذه الشخصية العظيمة، مهما كانت مهمتهم بسيطة أو سهلة، فيما يريدون تناوله من الجوانب الرسمية والإنسانية لزايد بن سلطان، الذي يكفيك اسمه عن جميع الصفات والسمات والإنجازات.

وحاولت أن أجمع الهيبة مع الرهبة بين دفتي كتاب واحد، عنوانه «زايد في عيون الباحثين»، وهي هيبة القراءة حينما نستمع إلى القصائد كمتلقين، ورهبة الكتابة حينما نعيد كتابتها للآخرين، ووجدت في جعبتي نصوصاً معدودة، جمعتها للأقلام التي تناولت شعر الشيخ زايد، يرحمه الله، في خلال السنين الطويلة التي قضيتها جامعاً قصائده، ومحقّقاً في تراثه الشعري بلهفة الباحث عن الكنوز والدّرر الثمينة. ووددت في «عام زايد 2018»، أن أقدّم ذلك للقارئ المتذوق، والباحث الساعي، كي تكون انطلاقة جديدة لتناول هذه النصوص التي تستحق أن تصل إلى أسماع وأفهام الناس في شتى أنحاء المعمورة، فالشيخ زايد يمثّل الإنسان الإماراتي الخالد، وقيمه العليا، وأنموذجه الكامل، الذي نستطيع به تكوين الفكر، وترسيخ العمل، وتحقيق النتيجة، وبالمحصّلة إثبات أصالة وديمومة الحضارة الجديدة التي زرع بذرتها زايد، وأثمرت في كل شبر من أرض الإمارات، وامتدت أيضاً إلى أقصى النواحي في أرض الله الواسعة.

وجاء الكتاب في 160 صفحة من القطع المتوسط، جمعت فيه جهدي مع جهود تسعة باحثين، في تناول قصائد الشيخ زايد بالقراءة والتحليل، وقد أفردت فصلاً لكل باحث من الباحثين، منتقياً مقالاً من مقالاته في هذا الموضوع، وذلك مما نشر في الكتب أو المجلات، وتنوّعت فصول الكتاب بين الرؤى وطرق التناول المختلفة، حسب ما رآه الباحث من

جوانب فنية ومعنوية، تزخر بها قصائد المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، لتتكامل في صورة منظومة تراكمية متجانسة، تليق بهذه النصوص الشعرية التي يزداد بريقها مع مرور الأيام.

محمد عبدالله البريكي

واستُفتح الكتاب بمقالة للشاعر والباحث محمد عبدالله البريكي، الذي نظر إلى تجربة الشيخ زايد من بُعد شمولي، فالشيخ زايد هو مؤسّس الساحة الشعرية الشعبية في العصر الحديث، لدعمه ورعايته الكثير من المؤسّسات والبرامج والمبادرات الثقافية والإعلامية، حيث أصبحت معنية بالشعر الشعبي، حتى أصبح الشعر الشعبي جزءاً لا يتجزأ من التراث والثقافة والإعلام، وتعدّ مقالة البريكي مدخلاً مهماً لمعرفة حال الساحة الشعرية، والنقلة النوعية الكبرى التي تحقّقت بفضل اهتمام الشيخ زايد به من جميع الجوانب.

حمد خليفة بوشهاب

وجاء الفصل الثاني بقلم الباحث الشاعر حمد خليفة بوشهاب، وهو مقدمته لديوان «الشيخ زايد»، الصادر في عام 1991، وفيها يختصر الأبعاد الرئيسة لتجربة الشيخ زايد الشعرية، برؤية شخصية لازمت الشيخ زايد، وتعرفت إليه عن قرب، وكتب قصائد مجاراة كثيرة لقصائده، وأيضاً جارى الشيخ زايد في قصيدته المعروفة:

«لو في جنيف الجسم موجود .. القلب عندك في الإمارات»

قائلاً:

«حي بجوابٍ يا ومعدود .. من شاعرٍ له فنّ عادات»

وتأتي أهمية هذه المقدمة في كونه أقدم النصوص التي قرأت قصائد الشيخ زايد، بالإضافة إلى ما أسلفنا من كونه أقرب الباحثين إلى الشيخ زايد في هذا الكتاب.

عتيج القبيسي

وجاء الفصل الثالث بقلم الباحث عتيق القبيسي، الذي خصّص فصلاً من كتابه «السنع في الشعر الشعبي»، إلى اعتبار تجربة الشيخ زايد الشعرية كأهم التجارب الشعرية التي تناولت الحكمة كموضوع رئيس من موضوعات الشعر وواجباته، وذلك لحماية المجتمع، وترسيخ القيم والمثل العليا فيه، وحثّ الأفراد على مكارم الأخلاق، وحسن السيرة والتعامل.

محمد مهاوش الظفيري

وأما الفصل الرابع، فقد جاء بقلم الناقد السعودي محمد مهاوش الظفيري، الذي تناول قصيدة:

يا طير وظبتك بتدريب .. أبغي أصاوع بك هدادي

وقدّم جوانب فنية مهمة في تكامل الصورة الشعرية مع الموضوع، وأشار إلى براعة الشيخ زايد الفنية في صياغة الفكرة، وتطويع موضوع القنص في قالب شعري، ورسم صورة شعرية عالية المستوى، مع محسنات بديعية متميزة تتماشى مع جو التحدي والمنافسة المعروفة في رياضة الصيد بالصقور.

الدكتور إبراهيم ملحم

وفي الفصل الخامس تناول الدكتور إبراهيم ملحم قصيدة:

يا شباب الوطن لبّوا نداكم .. واحموا الدار ضد الطامعين

وفي قراءته يركّز على التقنيات الفنية التي يستخدمها الشاعر في إيصال المضمون بأفضل صورة؛ لتناسب موضوع القصيدة، فالقصيدة من أشهر القصائد التي تحثّ الشباب على الدفاع عن وطنهم بكل إخلاص وتفانٍ؛ وذلك لتحقيق النصر على الأعداء والمعتدين، وهذا من المضامين المهمة التي تشكّل صورة القائد المدافع عن وطنه في أذهان الشباب، واختاره الباحث لإلقاء الضوء على جانب مهم من جوانب شخصية الشيخ زايد الشعرية.

سرور خليفة الكعبي

الدكتور فالح حنظل

بينما جاء الفصلان السادس والسابع بقلم سرور خليفة الكعبي، والدكتور فالح حنظل، وفي قراءتهما أخذا جولة في مضامين شعر الشيخ زايد المختلفة، بدءاً من الغزل إلى النصح، وإلى الطبيعة والردود، وهي الموضوعات الرئيسة للقصائد، وقد قرّب الباحثان المتلقي من القصائد بأسلوب شائق وبسيط.

الدكتور عبد الله بنصر

وأما الفصل الثامن، فقد جاء بقلم الدكتور عبدالله بنصر العلوي، من المغرب، وهو جزء من ورقة علمية قدمت إلى مؤتمر البادية في عام 2005، الذي أقيم في الإمارات، واهتم الباحث بقيم الفروسية ومقاصدها في شعر الشيخ زايد، مؤكداً نبل وكرم وشهامة الشخصية العربية الأصيلة، التي كتبت هذه القصائد، وبذلك تعتبر انعكاساً طبيعياً لنفس الشاعر وتكوينه، وسينشر الباحث كتاباً بعنوان «الشيخ زايد شاعراً ومفكراً»؛ ليحتوي هذه الجوانب المهمة التي اهتم بها، ولا يزال يتناولها في أبحاثه ودراساته.

بينما جاء الفصلان الأخيران للدكتور غسان الحسن، وللباحث محمد عبدالله نورالدين، وفيهما تعمّق الباحثان في دراسة الجوانب الفنية بأسلوب النقد التحليلي؛ لاستخراج بطون المعاني، وآفاق الدلالات، وجمال الصور الشعرية والمحسّنات البديعية، وغيرها من الجوانب التي تهم المختصين وعامة المهتمين، ليؤكدا تقدّم التجربة الشعرية للشيخ زايد من الناحية العلمية، وأهميتها من الناحية الأدبية.

يؤكد هذا الكتاب أن النصوص الشعرية للشيخ زايد جديرة بالدراسة مرة بعد أخرى، وأن هذه الدراسات والمقالات لن تفيها حقّها؛ لذا حريّ بنا أن نفخر بهذا الشاعر الإنسان، أو كما جاء في تقديم الكتاب «أن ندرس إرثه مرة بعد أخرى، بالبحث والتمحيص، وأن نتخذ منهجه نبراساً يضيء أيامنا وأعوامنا؛ كي نمضي معاً نحو ما يخدم البشرية ويحقق آمالها، ويعزّز ما نحمله بداخلنا من تراث وثقافة عريقة، تشكّل هويتنا المبنية على الفطرة الإنسانية المحبة للخير والعمل والإنجاز».

زايد والصقارة

ظافر جلود
صحفي ـ العراق

كانت جهود المغفور له، بإذن الله، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، في مجال الصقارة والحفاظ على البيئة متواصلة، واستمرت بلا هوادة، ولم تقتصر على المشاركة بمشاريع وتعليمات مباشرة فحسب، بل كانت مصدر إلهام للعديد من المبادرات الأخرى، التي كان لها آثار بعيدة المدى على المستوى الوطني والإقليمي والدولي.

لقد عاش زايد وهو يحمل قيم الحفاظ على البيئة في قلبه؛ ونتذكر هنا عبارته الشهيرة: «إن المحافظة على الطبيعة التزام وواجب مقدس. يجب علينا ألا نخلّ بالتوازن الحيوي؛ لأن بقاءنا يعتمد عليه. ويجب أن نلعب دوراً إيجابياً في ترك هذه الأرض مكاناً أخضر لأجيالنا القادمة، ففي أثناء حياته، وحتى بعد وفاته، حصد المغفور له، بإذن الله، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، إشادةً وثناءً من أنحاء العالم كافة، لحكمته السياسية، ولإنجازاته التي حققها في بناء مجتمع حديث ومتطور ومتناغم في دولة الإمارات العربية المتحدة. ويدين له الصقارون في العالم بأسره بالشكر أيضاً، لإسهاماته المتميزة في هذه الرياضة – أو ذلك الفن – الذي أحبّه كثيراً.

ومنذ نشأته تنبه المغفور له، بإذن الله، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، للحاجة إلى تحقيق توازن بين الحفاظ على تراث الأجداد، المتمثل في الصقارة والصيد من جهة، والحفاظ على الصقور وطرائدها على المدى الطويل من جهة أخرى. وتلك الرؤية البعيدة المدى، هي ما يعرّفه علماء الحفاظ على البيئة في العصر الحديث بـ«الصيد المستدام». فلم يكن الشيخ زايد متقدماً على جيله فحسب، بل كان سابقاً بفارق كبير لحركة الحفاظ على البيئة بأسرها. وبحلول منتصف ثلاثينيات القرن العشرين، أصبح الشيخ زايد صقاراً ومحافظاً على الطبيعة على حدّ سواء، مع رؤية متطورة تماماً عن المجتمع المتحول إلى صديق للبيئة. وفي الجانب الاجتماعي، كان المغفور له، بإذن الله، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه – بلا جدال – رمزاً للصقارة العربية، لما أظهره من معرفة هائلة وبدهية حاضرة عن الطبيعة، الأمر الذي مكّنه من الإلمام

التام بمقومات مجتمعه البدوي، على سبيل المثال، استطاع زايد أن يبين لهم أنه على الرغم من خشونة البيئة في تلك الأيام، إلا أنه يتعين على المجتمع أن يحافظ على بيئته لا أن يدمرها.

ناصرَ المغفور له، بإذن الله، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، قيم المحافظة على البيئة، بدافع من القناعة والضروريات الحتمية، وكان أكثرهم حباً للحفاظ على البيئة والحياة البرية، على حدّ تعبير الصحافي البريطاني الشهير باتريك سيل، الذي التقاه عام 1965 في مسقط رأسه في العين، عندما كان حاكماً لها، كان الشيخ زايد «يعرف كل حجر وكل شجرة وكل طائر في المنطقة التي يحكمها، والأكثر من ذلك هو إدراكه أهمية الحفاظ على كل قطرة من المياه، واستخدامها بشكل مفيد. كما كان غرس الأشجار شغفه الحقيقي».

قدّم المغفور له، بإذن الله، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، وجهاً إنسانياً لمفهوم الصقارة، حيث اعتبره رياضة وتراثاً لا يقدران بثمن. وكانت مهاراته الخاصة مع الصقور لا مثيل لها، كما سجلها المستكشف الصحراوي البريطاني الكبير السير ويلفريد ثيسيجر، الذي مارس الصيد معه منذ أكثر من نصف قرن. لم تكن الجاذبية الملازمة للصقارة التقليدية العربية مجرد رياضة بالنسبة للشيخ زايد، بل كانت صحبةً وعيشاً مشتركاً في الصيد؛ فالصقارة في الجزيرة العربية هي نشاط جماعي. والجدير ذكره في هذا المقام مبادرة تنظيم المؤتمر العالمي الأول للصقارة والحفاظ على البيئة، الذي عقد في أبوظبي في نهاية عام 1976، وجلب

للمرة الأولى الصقارين من أمريكا الشمالية وأوروبا والشرق الأقصى، إلى جانب الصقارين من الجزيرة العربية. وكان المؤتمر بمثابة منصة انطلاق لاستراتيجية وضعها الشيخ زايد لإدخال الصقارين في صلب الجهود المتنامية للحفاظ على البيئة. كانت تلك هي الفترة التي شهدت ظهور الصقور المتكاثرة بالأسر من أوروبا في الجزيرة العربية للمرة الأولى، مما أسهم في تفضيل معظم الصقارين الإماراتيين اليوم طيور الأسر، ما ساعد بدوره على الحدّ من استهلاك المخزون البري.

في أوائل ثمانينيات القرن العشرين، أسّس المغفور له، بإذن الله، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، مستشفى للصقور في الخزنة، خارج أبوظبي، ثم أعقبه في عام 1999 بمستشفى للصقور في أبوظبي، وهو جزء من هيئة البيئة – أبوظبي. وعلى غرار معظم الصقارين العرب، اعتاد الشيخ زايد إطلاق العديد من طيوره إلى البرية في نهاية موسم الصيد. وعام 1995، أطلق الشيخ زايد برنامجه لإطلاق الصقور. ومنذ ذلك الحين تم الإفراج عن الآلاف من طيور الصقر الحر والشاهين البرية مع الأسراب المهاجرة في الربيع في باكستان ووسط آسيا.

وشجّع المغفور له، بإذن الله، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، زملاءه الصقارين على الاستفادة بشكل أكبر من طيور الأسر، واستحدث نظاماً صارماً لترخيص المتاجرة بالطيور البرية في الإمارات، إلى جانب استحداث نظام «جواز سفر الصقور»، الذي اعتمدته الاتفاقية الدولية للاتجار في الحيوانات والنباتات المهدّدة بالانقراض، وأثمرت تلك الترتيبات نتائج باهرة في الحدّ من ضغط الصيد بالفخاخ في البلدان المجاورة.

المعارف الشعبية المرتبطة بأفلاج الإمارات

محمد شحاته علي
باحث في الثقافة الشعبية
والأنثروبولوجيا - مصر

رغم أن دولة الإمارات، تعاني كغيرها من دول الخليج ندرة موارد الريّ التي يقوم عليها نشاط الزراعة، إلا أن الجماعة الشعبية هناك نجحت في التكيف مع تلك المشكلة، وإيجاد بدائل كانت مناسبة لقيام الزراعة وتنميتها في ذلك البلد، وهو مورد الأفلاج.

تتجلى عبقرية ومهارة أبناء الإمارات على مر العصور، في طُرق حفر وبناء الأفلاج، التي يصل عمق بعضها إلى عشرات الأمتار، للحصول على مياه جوفية صافية من باطن الأرض، تروي كل أشكال الحياة، من إنسان وحيوان ونبات، وكل من يعيش على هذه الأرض الطيبة منذ ما قبل الزمن الحديدي حتى الآن، عن طريق القنوات، مما يُعدّ إعجازاً هندسياً في وقت لم تتوافر فيه الآلات الميكانيكية. وقد عثر على أفلاج العصر الحديدي في الهيلي في العين، وبدع ابن سعود، وإلى الشمال في منطقتي جبيب والمدام.

وقد أجرى الدكتور وليد ياسين التكريتي، مستشار الآثار في دائرة الآثار والسياحة في العين، حفريات عدة، كشفت الأفلاج العميقة التي يعود تاريخها لألف عام قبل الميلاد، وهو عمر يزيد على عمر أفلاج إيران، والأفلاج التي اكتشفت مؤخراً كانت مبطنة بشرائح من الحجر الرقيق، وكانت بالغة الدقة. وعلاوة على ذلك، فإن من قاموا بحفرها إلى تلك الأعماق إنما كانوا عمالاً من عشائر محددة، مثل العوامر البارعين في هذا النوع من الأعمال، وما زال أحفادهم يعيشون في المنطقة حتى اليوم، حيث قاموا بتجديد النظام القديم قبل 50 سنة خلت.

لقد ارتبط نظام الأفلاج بثقافة الجماعة الشعبية في الإمارات، والتي ورثت نظام الحفر والتطهير وتقسيم المياه عن أسلافها، فلم تكن الأفلاج مصدراً للريّ فقط، بل كانت تراثاً لتلك الجماعة التي حافظت عليها، غير أن تلك الأفلاج تعرضت للكثير من المشكلات التي هدّدت الكثير منها، وردمت الأخرى بفعل الرمال، وقد وضع الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رحمه الله، عندما كان ممثلاً للحاكم في العين، في أواخر الأربعينيات من القرن الماضي، برنامجاً لتجديد وتنمية الموارد المائية، بما فيها الأفلاج، وقد استغرق تنفيذ البرنامج 18 عاماً، أعد له المغفور دراسة مستقبلية متوسطة، وبعد اكتمال تنفيذه وفر الماء الذي أكسب العين شهرة واسعة، بسبب كثرة زراعاتها.

المعارف الشعبية المرتبطة بتنظيف وتطهير الفلج:

وقد كانت الجماعة الشعبية آن ذاك تتبع طقوساً خاصةً عندما يتعرض أحد أفلاجها للردم، فكانت عملية إحياء الفلج من المناسبات التي تعكس

حجم التعاون والتكافل بين الأهالي، بل تعد احتفالية شعبية خاصة، فعندما يموت الفلج يتم إعلام الأهالي، الذين يتوافدون، وكل منهم يحمل «مسحاة»، وهي عبارة عن فأس صغيرة و«جفير»، وهو وعاء مصنوع من الخوص، توضع فيه الرمال التي يجري رفعها من الفلج. ويقوم عريف الفلج بإحضار التمر والقهوة، وينحر ذبيحة لِيولِم للأهالي القائمين على تنظيف الفلج، والذين يستأنفون عملهم عقب تناول الغداء حتى الغروب، وإذا ما فرغوا يقضون الليل عند الفلج حتى الصباح، ليستكملوا عملهم حتى يتم رفع الرمال منه نهائياً. حيث تبدأ العملية بـ«الخواضة»، ومعناها النزول من منبع الفلج، وتتبع مساره، لاستكشاف مجراه ورصد مواقع تكدس الرمال بداخله، ويحمل القائمون على تنظيف الفلج عصياً لقتل الثعابين والزواحف الأخرى التي تصادفهم في داخل مجرى الفلج، بالإضافة إلى مصابيح بدائية صغيرة أو أسرجة يتم إشعالها بالكبريت، وبعد هذه الرحلة الاستكشافية داخل الفلج الميت، يقوم الأهالي المكلفون صيانته بإخبار عريف الفلج بأماكن تجمع المياه.

المعارف الشعبية المرتبطة بتوزيع مياه الفلج:

كان نظام ري المزارع والبساتين خاضعاً لنظام ملكية الماء، ممّا ترتب عليه عدم المساواة في توزيع مياه الأفلاج «إذ كان الأثرياء يسقون أراضيهم خمس مرات في الشهر الواحد، بينما لا يحصل الفقراء إلّا على سُقيَة واحدة خلال أشهر عدة، لا بل وصلت ضائقة المال إلى أن عرض الأغنياء على الفقراء شراء حق السقاية الخاصة بهم.

وكان تقسيم المياه يخضع أيضاً لطقوس خاصة متوارثة، فلكل فلج «عريف» يترأسه شخص يطلق عليه «أبوالفلج»، وهو رجل ذو خبرة في مجال تقسيم حصص مياه الفلج وتوزيعها بين أصحاب الملك في المزارع، ويتم توزيع الحصص حسب قياس الظل بالقدم، حيث يقف العريف في الشمس، ويضع خطاً مكان وقوفه، وخطاً آخر في آخر الظل، ليحدد طول ظله، ثم يقسم الظل بالأثر، ويقول لفلان أنت لك مدة قدمين من الظل، ومن بعدها يسير الماء، لفلان، وله كذا قدم من الماء، وهكذا حسب كل حصة يمتلكها كل صاحب ملك، وعند انتهاء مدة حصة الأول من السقي، يغلق عامده (قناته)، ويفتح عامد الثاني، وهكذا إلى أن يسقي جميع أصحاب المزارع حسب حصصهم، والحصص يكون منها «أصل»، وهو المحسوب للملك والمملوك بالإرث ومتوارث أباً عن جد، وهناك المشترى، وهي حصص يتم تمليكها بالشراء، حيث يقوم البعض ببيع أو إيجار حصصهم لآخرين أكثر منهم ملكاً وزرعاً، ويكون البائع أو المؤجر غير محتاج لتلك الحصص، لقلة ملكه أو لقلة زرعه، ويبيع حصته أو بعضها أو يؤجرها.

وهناك طريقة أخرى لتقسيم المياه من الفلج، وهي طريقة تعتمد على حركة النجوم والأثر، لعدم وجود «الساعات» التي تستخدم الآن على نطاق واسع في تحديد الوقت، ووفق النظام المتبع يقسم اليوم منذ لحظة الشروق حتى الغروب، حيث كان يقسم لفترات سميت في تلك الأيام بـ«باداة»، وذلك من خلال تقصي الفترة الزمنية التي تفصل بين الغروب والشروق لفترات منتظمة.

وكانت «الباداة» تقسم بدورها إلى أربعة أقسام، يسمى كل منها ربيّعاً، والذي يقسم بدوره إلى ستة أسداس، وكان نصيب بعض الأهالي من مياه الري يكفيهم، أما الآخرون فكانت مخصصاتهم من مياه الري لا تفي باحتياجات مزارعهم، فيلجؤون لتعويض ذلك إلى «المشاع»، وهو عبارة عن أربع «بادات» وكان إيجار «البادة» الواحدة وقتها 48 درهماً، وإيجار الربع 12 درهماً، وإيجار السدس ثمانية، ويتولى عريف الفلج جمع حصيلة الري بالمشاع وتخصيصها لعمليات صيانة وتنظيف الأفلاج. وتقوم لجنة الأفلاج ببلدية العين بحفر الآبار و«السلول»، وهي المجاري التي تربط بين «النقبة» وهي فتحة البئر، وعمل الصيانة اللازمة للأفلاج داخل المدينة وخارجها.

المعارف الشعبية المرتبطة بحفر الفلج:

تبدأ القناة من مورد المياه في الجبل، أو من جيب مائي تحت الأرض تم الوصول إليه عبر بئر محفورة، أما الفلج فيحفر بصورة مائلة، تسبب سيلان الماء بسلاسة مدفوعاً بقوة الجاذبية، ومن أجل ذلك ينبغي حساب الزاوية بدقة، وبحيث يصل الفلج إلى الحقول التي سيرويها عند المستوى المطلوب بالضبط. ويحفر كل مائة متر تقريباً حفرة أسطوانية تنفتح على الفلج، وتدعى «ثُقبة»، والغرض منها توفير الهواء النقي للعاملين، وتسهيل أعمال الصيانة في المستقبل. وعندما يقترب الفلج من المزارع يتحول من نفق إلى ما يشبه الخندق الذي يغطى بألواح الحجارة والآجر للحيلولة دون تبخر الماء أو تلوثه.

وعندما يصل مستوى جريان الماء إلى سطح الأرض، يحفر حوض كبير يدعى «الشريعة»، ليتم جمع الماء فيه، كما يستخدم كحوض للغسيل، ومبطن بشرائح مسطحة من الصخور، وفي أحد المواقع القريبة من العين ويدعى «بدع ابن سعود» هناك درج طويل شديد الانحدار، ينزل إلى قاع الشريعة (هذا الكشف هو الذي وفّر المعلومات حول عمر النظام، فقد عثر على أكثر من 300 كسرة فخارية عند الحفر للوصول إلى قعر الشريعة الواقع على عمق 3.8 متر تحت مستوى السطح الحالي، وكانت الكسرات تعود للعصر الحديدي، أي لنحو 3000 سنة مضت).

تتفرع من الحوض شبكة من الأغيال التي تنقل الماء إلى الحقول التي تحتاج إلى الري، ومع مرور الزمن كان لابد أحياناً من تعميق مجاري المياه، لكي يواصل الماء جريانه، وكان ذلك يؤدي إلى امتداد النظام مسافة أطول قليلاً كل مرة، وبارتفاع أدنى قليلاً، وكان ذلك يعني تراجع الحقول والمساكن للوراء بعض الشيء.

إن نظام الأفلاج لا يزال يؤدي عمله حتى اليوم في عصر التكنولوجيا، وحيث إنه لا يعتمد على مضخات قد تتعطل، وقساطل قد تصدأ وتنفجر، فإنه لا يزال يعمل من دون توقف منذ 3000 سنة، وكل ما كان يحتاجه هو تنظيف الأقنية من الطمي بين الفينة والفينة، خاصة بعد المطر الشديد.

وقد فطن الشيخ زايد، رحمه الله، لأهمية الزراعة في الإمارات، ومورد الري الوحيد لها هو الأفلاج، فأعاد إحياءها من جديد، وخصّص لها وقته وجهده، وهو القائل «أعطوني زراعة، أضمن لكم حضارة»، وقد صدقت مقولته وآتت ثمارها في عصرنا الحالي، فالمتصفح لمكانة الزراعة في الإمارات الآن، سيتعجب كثيراً ويتساءل، كيف أصبحت الرمال الصفراء خضراء، رغم ندرة الموارد المائية، وتصدر منتجاتها لدول العالم؟ لقد صدق القائد وصدق شعبه، فصارت الإمارات قبلة للثقافة والاقتصاد والتنمية.

«أيام الشارقة التراثية» تسمو بالتراث وتحتفي بـ 15 عاماً من العطاء

أسدلت الستارة على النسخة السادسة عشرة من «أيام الشارقة التراثية»، التي انطلقت في الـ8 من إبريل، واستمرت لغاية 21 منه، تحت شعار بـ«التراث نسمو»، وقد حظيت هذه الدورة بإقبال كبير وتفاعل لافت، تمثّل في عدد الزوار من داخل الدولة وخارجها، الذين بلغوا أكثر من 270 ألف شخص من داخل الدولة وخارجها، من باحثين وإعلاميين ومختصين ومهتمين بالتراث، حيث أمضوا 14 يوماً متنقلين في رحلات جميلة وشائقة بين مختلف الفعاليات في قلب الشارقة، بالإضافة إلى افتتاحات خارجية بلغ عددها 12 موقعاً في مختلف مدن ومناطق إمارة الشارقة. وجاءت النسخة السادسة عشرة تحت شعار «بالتراث نسمو»، وشارك فيها أكثر من 600 شخص من خبراء وباحثين وكتّاب وإعلاميين، من أكثر من 31 دولة من مختلف بلدان العالم، ومشاركة 18 جهة حكومية. وقال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث رئيس اللجنة العليا المنظمة لـ«الأيام»، لقد شكلت فعاليات «الأيام» مشهداً بانورامياً مميزاً وجاذباً، ولا يمكن لزائر «الأيام» إلّا أن يعرّج على كل المواقع والأماكن والأركان والساحات، متنقلاً من موقع إلى آخر، فمن البيئات الإماراتية بكل ما فيها من تنوع وثراء، كالبيئة الجبلية والبيئة البحرية والبيئة الزراعية، إلى قرية الحرف التراثية، إلى الساحات التي تعجّ بأداء الفرق الشعبية، ومسرح الأيام، والمقهى الثقافي، حيث المحاضرات والندوات والأمسيات الشعرية، ومجلس الخبراء التابع للجنة التراث العربي، الذي قدم الكثير من المحاضرات والندوات التي لاقت تفاعل الحضور بشكل لافت، إلى فعاليات ضيف الشرف، (جمهورية التشيك)، وفعالياتها الجميلة، والمعارض الأربعة التي تقدَّمَها معرض زايد، بالإضافة إلى معرض ماضٍ وذكريات من تراث السعودية والإمارات، ومعرض صقلية.. معالم وشواهد، ومعرض كلية الفنون الجميلة، جامعة الشارقة. وغيرها الكثير.

تفاعل كبير

وأضاف المسلّم: «منذ اليوم الأول لافتتاح (أيام الشارقة التراثية)، من قبل صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، ونحن نعيش حالة خاصة من التفاعل مع كل حدث، ومع كل خطوة في (الأيام)، وتنقلنا خلال (الأيام) في مناطق ومدن وقرى عدة في الشارقة، فكنا في ساحة التراث بقلب الشارقة، وفي المنطقتين الشرقية والوسطى، ترجمة لتوجيهات سموه في أن نكون حاضرين في مدن ومناطق الشارقة كافة، نقدم كل ما هو إضافي وجديد من عناصر ومكونات التراث، وفعاليات وأنشطة جديدة تلقى الترحيب والإعجاب والمتابعة من قبل الزوار وعشاق التراث».

أكثر من 600 شخص من خبراء وباحثين وكتّاب وإعلاميين، من أكثر من 31 دولة من مختلف بلدان العالم، ومشاركة 18 جهة حكومية.

أكثر من 270 ألف زائر

وأشار المسلّم إلى أنه «في كل يوم كنا نلمس تزايداً في أعداد الزوّار، ونلحظ الدهشة والتقدير والإعجاب بما يشاهدونه، حيث نحرص على تقديم ما هو جديد ويستحق المتابعة، بالإضافة إلى الاستمرار في التعريف بالتراث الإماراتي، واستقبال الضيوف من كل العالم، لتعميق وتعزيز التجارب والخبرات، وتبادل المعلومات والمعارف فيما يتعلق بكيفية صون التراث وحفظه ونقله للأجيال. حيث تجاوز عدد الزوّار 270 ألفاً من داخل الدولة وخارجها، أتيحت لهم الفرصة الكاملة كي يتعرفوا إلى التراث المحلي والعالمي بمختلف عناصره ومكوناته في مكان واحد، هو (أيام الشارقة التراثية)، الأمر الذي يثلج صدورنا، ويؤكد لنا مدى عشق الجمهور للتراث، ويشير إلى أننا نجحنا في مهماتنا التي تتطلب دوماً المزيد من النجاحات والبناء عليها والإضافة لها، فطموحنا وجهودنا المستندة إلى توجهات ورؤى صاحب السمو حاكم الشارقة مستمرة من أجل ترجمتها على أفضل وجه، وهو ما نسعى إليه باستمرار، في ظل الحرص على تحقيق النجاح تلو النجاح». وأوضح الدكتور المسلّم أن «أيام الشارقة التراثية» تسهم في تعريف الجيل الجديد بماضي الآباء والأجداد، ومن خلال الفعاليات والأركان المتنوعة في «الأيام» يستطيع الزائر التعرف إلى حقيقة الماضي والتراث الأصيل، وطبيعة الحياة في تلك المرحلة، كما أنها بما تقدمه من فنون ورقصات شعبية تسهم في إدخال البهجة والفرح والسرور إلى كل من يتابع ويشاهد

ويستمع لتلك الأنماط الفنية

الجميلة، وفي الوقت نفسه تعرّف الجيل الجديد بالفنون الشعبية والفولكلور الشعبي الجميل المملوء بالموسيقى العذبة واللحن الجميل والكلمات المعبرة.

28 لجنة

أكد رؤساء اللجان المشاركة في تنظيم فعاليات «أيام الشارقة التراثية» الـ16، أهمية ومكانة «الأيام» ومدى الإقبال الجماهيري على الفعاليات التي لاقت تفاعلاً حيوياً كبيراً من زوار وعشاق التراث. وتفصيلاً، قال المهندس بدر

الشحي، المنسق العام لـ«أيام الشارقة التراثية»، «إن (الأيام) في نسخة العام لاقت إقبالاً كبيراً من الزوار، كما هي الحال في كل عام، وقد شكلت (الأيام) كما هي الحال باستمرار دعوة مفتوحة لعشاق التراث والزوّار عموماً، من أجل زيارة المكان والتعرف إلى ما فيه من أنشطة وبرامج غنية وجاذبة». ولفت الشحي إلى أن 28 لجنة من المعهد قامت بمتابعة مختلف البرامج والأنشطة والفعاليات طوال «أيام الشارقة التراثية»، وبمشاركة 120 متطوعاً من ساند وفخر الإمارات، نفذوا مهام على أكمل وجه، وبدوري هنا أتوجه بالشكر إلى كل من أسهم في إنجاح هذه النسخة من «أيام الشارقة التراثية». ومن جانبها، قالت عائشة غابش، نائب المنسق العام لـ«أيام الشارقة التراثية»، كان الحضور والإقبال على مختلف فعاليات «أيام الشارقة التراثية»، لافتاً وكبيراً، كما أن كل المشاركين من داخل الدولة وخارجها، كان لديهم العديد من الأنشطة والبرامج والفعاليات التي حظيت بإعجاب ومتابعة الكبار والصغار، بما يسهم في غرس وترسيخ التراث بمختلف مكوناته وعناصره وأنماطه في أذهان الجميع. وتابعت: من بين ما يمكن الإشارة إليه من جديد «الأيام» التي نودعها بكل الشوق والفرح، وننتظر إبريل العام المقبل لنستقبل نسخة جديدة منها.

بركة التراث

مبادرة تهدف إلى العمل على إدماج كبار السن مع المجتمع، كي لا ننساهم، وذلك من خلال حضورهم في الفعاليات الثقافية والتراثية، ومختلف الأنشطة التي تنظمها وتنفذها

إمارة الشارقة، وهي دعوة دائمة ومفتوحة لكبار السن الذين يعملون في منازلهم ببعض الحرف، كي يمارسوا تلك الحرف أمام الجمهور في «أيام الشارقة التراثية»، وشكلت محطة جذب طوال «أيام الشارقة التراثية»، فالزائر لـ«أيام الشارقة التراثية» في قلب الشارقة، عرّج بالضرورة على مقر مبادرة بركة التراث، التي تحتل موقعاً استراتيجياً في قلب «الأيام»، فهي عبارة عن معرض لكبار السن من الإماراتيين، يتم فيه عرض الحرف اليدوية لديهم، وتفاعلهم وتواصلهم مع الجمهور وزوار «الأيام». وبدوره قال صقر محمد، رئيس لجنة الافتتاحات الخارجية في «أيام الشارقة التراثية»، خلال النسخة السادسة عشرة من «أيام الشارقة التراثية»، وصلنا إلى مختلف مدن ومناطق إمارة الشارقة، حيث تم افتتاح «الأيام» في 12 منطقة، شملت كلاً من الذيد والمدام ومليحة

أكثر من 270 ألف زائر من داخل الدولة وخارجها

والحمرية والبطائح وخورفكان وكلباء ووادي الحلو وشيص والنحوة ودبا الحصن، بالإضافة إلى قلب الشارقة. وتابع: جاءت فكرة افتتاح فعاليات أيام الشارقة التراثية في مدن ومناطق الشارقة، وفقاً لتوجيهات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، حيث غطينا مع هذا العام كل المناطق والمدن الرئيسة في الإمارة، ووصلنا إلى السكان في مناطقهم، وقد عبر السكان هناك عن مدى رغبتهم

ومحبتهم لهذا العرس التراثي الكبير، وكان تفاعلهم وحضورهم كبيراً جداً ومميزاً، يعكس مدى عمق تمسكهم بتراثنا الغني والعريق، ورغبتهم في المشاركة والتطوع، والفرحة الكبيرة بـ«الأيام» وفعالياتها، الأمر الذي يسهم في المزيد من التحفيز لدينا في أن نقدم لهم وبالتعاون معهم أفضل ما يمكن.

الحرف التراثية

وقالت خلود الهاجري، رئيسة لجنة الحرف في «أيام الشارقة التراثية» نحن سعداء بمشاركة أكثر من 40 سيدة في الحرف المنتجة، وتنفيذ أكثر من 25 ورشة متنوعة على مدار 14 يوماً، حظيت بتفاعل لافت من الزوّار، هذا إلى جانب 19 ورشة في البيئات المشاركة بأنواعها. من جانبها أعربت خولة الغفلي، رئيسة لجنة الأسواق، عن سعادتها بالإقبال الجماهيري على الاسواق التي شارك فيها نحو 120 مشاركاً، تنوّعت مشاركاتهم ما بين مأكولات شعبية ومشغولات يدوية ومنتجات أخرى، ففي كل عام تحظى الأسواق بإقبال كبير من الزوّار، خاصة في عطلة نهاية كل أسبوع.

معارض تراثية

ذكريات معتوق، رئيسة لجنة المعارض، أوضحت أنه وللعام السادس على التوالي، تلاقي المعارض إعجاباً واستحساناً من قبل الجمهور، فمنذ أن بدأت فكرة المعارض نشهد في كل عام طلباً متزايداً على المشاركة، وإقبالاً متزايداً على نوعية المعارض التي نختارها في كل عام، ففي مثل هذا العام حظي معرض زايد بإقبال كبير من الزوار، وهو متماش مع «عام زايد»، الذي أطلقته الحكومة الرشيدة لإبراز دور المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، في تأسيس دولة الإمارات العربية المتحدة، ووضع وترسيخ أسس نهضتها الحديثة، وإنجازاتها على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية، فضلاً عن تقدير شخصه، رحمه الله، وما جسده من مبادئ وقيم مثلت ولا تزال الأساس الصلب الذي نهضت عليه دولة الإمارات العربية المتحدة، وما يكنّه له شعبه من حب وولاء، وتخليد شخصية الشيخ زايد ومبادئه وقيمه عالمياً كمثال لشخصية من أعظم الشخصيات القيادية في العالم، ومن أكثرها إلهاماً في صبره وحكمته ورؤيته، وتعزيز مكانة المغفور له الشيخ زايد، بوصفه رمزاً للوطنية وحب الوطن، وتخليد إرث الشيخ زايد عبر مشروعات ومبادرات مستقبلية، تتوافق مع رؤيته وقيمه.

560 مشاركاً في العروض الفولكلورية

قال أزهر كبة، رئيس اللجنة الفنية وحفل الافتتاح في «أيام الشارقة التراثية»، إن الفنون والرقصات الشعبية حاضرة في «أيام الشارقة التراثية» دوماً، فهي تشكل واحدة من أهم محطات الجذب للزوار الذين يتنقلون من موقع إلى آخر، يلتقطون الصور والفيديوهات التي تسجل لهم اللحظة، وتسجل لهم تلك الرقصات والحركات والأصوات، والموسيقى العذبة التي تطرب كل من يسمعها. وأوضح أنه تمت استضافة 15 فرقة عالمية، و6 فرق محلية، حيث بلغ عدد المشاركين 560، طوال «أيام الشارقة التراثية» في نسختها السادسة عشرة، وأشار إلى أن الفنون الشعبية هي مكون رئيس من مكونات الحالة الثقافية للمجتمع، وتعكس جوهر الفولكلور الشعبي، وتمنحه تمايزاً خاصاً، وتفاعلاً حيوياً مع ما يماثله لدى الشعوب والثقافات الأخرى.

المركز الأكاديمي

قال د. محمد عبدالحافظ، رئيس لجنة التعليم والتدريب، حرصنا على مشاركة برنامج الدبلومات المهنية في «أيام الشارقة التراثية» للمرة الثانية على التوالي، من خلال تشكيلة من الأنشطة الأكاديمية، استضفنا خلالها عدداً من المحاضرين والأكاديميين والمختصين في عالم التراث، بمختلف جوانبه ومجالاته، ليقدموا إسهاماتهم في التراث، ويعرضوا بعض ملامح تجاربهم وخبراتهم في التراث، كما كانت تلك الأنشطة الأكاديمية محطة للتعريف ببرامج الدبلومات المهنية الستة التي طرحها معهد الشارقة للتراث منذ مطلع العام الدراسي الجاري، حيث تسهم هذه الدبلومات في إعداد كوادر متخصصة من المدربين والمتعلمين، وتأهليهم للوظائف ذات الصلة بمهنة أو حرفة أو نشاط تطبيقي، أو مهام ذات طبيعة ميدانية في مجال التراث الثقافي. وقدمنا خلال «أيام الشارقة التراثية» 9 لقاءات تضمنت محاضرات وندوات مميزة.

أكثر من 30 محاضرة وأمسية شعرية

قال د. مني بونعامة، رئيس اللجنة الثقافية، استضاف مقهى الأيام الثقافي هذا العام أكثر من 30 ندوة ومحاضرة وأمسية شعرية، ناقش خلالها المتحدثون حزمة من الموضوعات الثقافية والتراثية والإعلامية المهمة، التي تدخل في صميم شعار «الأيام» «بالتراث نسمو»، وأسهموا في إثراء فعاليات المقهى. كما جرى توقيع 7 إصدارات جديدة تضاف إلى المكتبة العربية المتخصصة بعالم التراث.

«الأيام» في المدن

احتفلت مدن الشارقة ومناطقها بـ«أيام الشارقة التراثية» في دورتها السادسة عشرة، واكتست حلّة جميلة تتناغم مع حجم الحدث الكبير. وعلى وقع الأهازيج الشعبية والرقصات التراثية والقصائد الشعرية والمشاهد الاحتفائية، انطلقت «الأيام التراثية» في مدن الشارقة، واستقطبت لفيفاً من أبناء المجتمع الإماراتي، الذين توافدوا من كل حدب وصوب لحضور الفعالية والمشاركة فيها، انطلاقاً من دبا الحصن، كلباء، الذيد، المدام، مليحة، البطائح، الحمرية، وادي الحلو، خورفكان، شيص، النحوة.

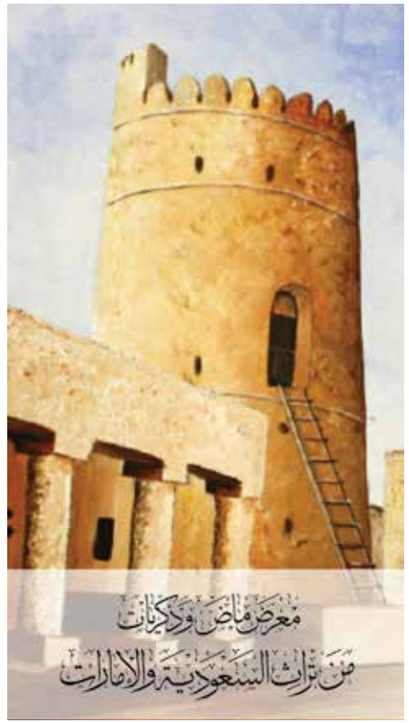

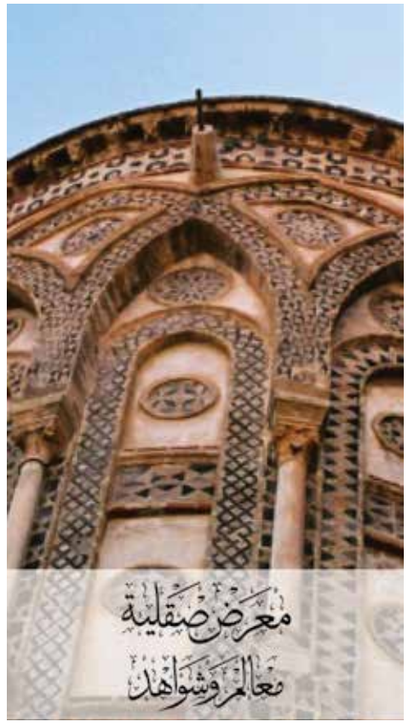

المعارض التراثية..
لوحات زاخرة بعبق الماضي

تشكّل المعارض التراثية نافذة مهمة للتعريف بالتراث الثقافي على أوسع نطاق، من خلال ما تقدّمه من لوحات فنية تمزج بين الماضي والحاضر، وتحتفي بذاكرة المكان، وما ينطوي عليه من عناصر تراثية وثقافية، تمثّل في مجملها ذاكرة ممتدة وموغلة في القدم، ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ، وتمثّل المعارض المشاركة في «أيام الشارقة التراثية» في دورتها الـ16 لعام ٢٠١٨، مثالاً حيّاً على ذلك التعالق والامتداد، حيث تحتفي، على اختلاف موضوعاتها، بالتاريخ ورموزه ومعالمه وشواهده، التي لا تزال باقية وقائمة على عروشها حتى يومها هذا، كما تستلهم من الذاكرة الشعبية صورها البديعة وتعالقاتها المتميزة.

يقف معرض «زايد»، وهو المعرض الرئيس في «أيام الشارقة التراثية» في دورتها الـ16 شاهداً وموثقاً لمسيرة القائد الرمز المغفور له، بإذن الله تعالى، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، حيث يستعرض بالصور والصوتيات محطات مختلفة من المسيرة الخالدة للراحل الكبير، وآثاره الباقية، التي نتنفّس شذى عبيرها الفوّاح كلما نظرنا في سيرته، وبحثنا في مسيرته وذكراه التي لا يزيدها تعاقب الليالي والسنين إلا ترسخاً وعمقاً، وعلوقاً في ذاكرتنا الجمعية والثقافية والشعبية، وتفاصيل حياتنا اليومية، لما لها من أهمية بالغة.

ويتّسق المعرض مع توجهات الحكومة الرشيدة مع تخصيص عام 2018 «عام زايد»، احتفاءً بمرور مائة عام على ميلاد صانع الاتحاد، وراسم البسمة، ورمز الإنسانية، الشيخ زايد بن سلطان، طيّب الله ثراه.

ويقدّم معرض «ماضٍ وذكريات من تراث السعودية والإمارات»، صورة واضحة المعالم عن المواقع والشواهد الأثرية والتاريخية، من مبانٍ وقصورٍ وقلاعٍ وحصونٍ، وأسواقٍ مشهورة في كل من السعودية والإمارات، مازجاً بين عراقة المكان وروعة البنيان، وجمال العمران في السعودية والإمارات.

كما يتيح المعرض سياحة بصرية، ومنح متعة حقيقية للزوّار والجمهور، مرتحلاً بهم في أعماق التاريخ والتراث، مبرزاً ما تنطوي عليه الأمكنة من جمال ساحر وآسر يخلب الناظرين.

أما معرض صقلية، فيستعرض معالم وشواهد تاريخية وآثارية عريقة، تكشف النقاب عن الامتداد التاريخي، والتواصل الثقافي والحضاري بين صقلية والعالم المحيط بها.

معرض زايد

يمثّل معرض «زايد» المعرض الرئيس في «أيام الشارقة التراثية» في دورتها الـ16 لعام 2018، وهو معرض تاريخي وتوثيقي، يحتفي بشخصية القائد المؤسس والزعيم الرمز صانع الاتحاد وباني دولة الإمارات العربية المتحدة، المغفور له بإذن الله تعالى، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، اتساقاً مع مئوية الشيخ زايد، التي تصادف عام زايد (2018). وقد تم استلهام شكل الجناح من مسجد زايد الكبير في أبوظبي، ذلك المَعلم العمراني الفريد من نوعه، الذي يمزج بين البياض والنور في رمزية لافتة إلى الإيمان والصفاء النفسي والروحي والوجداني، كما يحيل إلى الشموخ والعزة؛ فزايد شخصية استثنائية في تاريخ الإمارات، رجل السياسة والدولة والاقتصاد والتنمية والشعر والتراث والثقافة

والبيئة والزراعة، والعدل والاعتدال والتسامح، والتضامن، والإنسانية.

ويشتمل المعرض على 16 صورة فوتوغرافية من الأرشيف الوطني في أبوظبي، بالإضافة إلى التسجيلات الصوتية، التي تستعرض مجتمعة محطات مهمة من تاريخ الدولة، ودور ومكانة وجهود المغفور له الشيخ زايد.

كما تسرد الصور المعروضة قصصاً كثيرة من مسيرة مؤسس الدولة، منذ بدايات حكمه في بدايات سبعينيات القرن الماضي حتى نهايات الثمانينيات، مضمّنة لزيارات كثيرة تم توثيقها من خلال تلك الصور، حيث نرى الشيخ زايد في الأراضي الزراعية يتفقد أحوالها وأحوال القائمين عليها، وهناك محطة أخرى له في مناطق نائية يطمئن على شعبه وأهله، وهناك في جزيرة دلما إبريل 1980، وجزيرة رأس الأخضر إبريل 1979، وليوا مارس 1979، ودبي مارس 1988، وصير بني ياس يوليو 1987، وتلك تحكي عن أيام التخطيط لمشروع السد في العين، وزيارة الإمارات الشمالية في أغسطس 1980، ويناير 1981، ورابطة النساء في ديسمبر 1980، وبعض المناطق النائية في أبوظبي يوليو 1980، وغيرها الكثير.

وتهدف الصور المعروضة إلى تعريف الزوار بالمغفور له الشيخ زايد، رحمه الله، وإنجازاته، والتعرّف إلى شخصه الإنسان والحكيم والقائد والمهندس والشاعر والحاكم، الفارس، صقر الصحراء، مَن عمّ فيض عطائه وكرم سخائه العالم أجمع، وهي لمسة وفاء ووقفة احتفاء بمن يستحق الاحتفاء بجدارة.

معرض: ماض وذكريات مِنْ تراث السعودية والإمارات

تمثّل تجربة الفنان التشكيلي السعودي المبدع عبدالعزيز خليل المبرزي الشويش، عنصراً مهماً لتوثيق تاريخ المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة، وتراثهما الزاخر عبر 36 لوحةً فنية، احتفى فيها المبرزي بجماليات المكان التراثي والتاريخي في السعودية والإمارات، وعبقه الساحر، وتراثه الآسر، وأَظْهَره في أبهى صوره، وأجمل أشكاله في اللوحات التي أبدعها بروح فنية عالية، ورؤية متقنة لروح المكان الذي يبرز في صور شتى على جنبات الشوارع، وفي أعماق البيوتات القديمة، والحصون العتيدة، والقلاع الحصينة، والأسواق والشواطئ وحتى على كثبان الرمال.

وتعكس الأعمال المعروضة مفردات العمارة السعودية والإماراتية التقليدية، التي تتجلى في البيوتات القديمة ونمط بنائها، ومعمارها التاريخي العريق، الذي يتجلى بالنسبة للسعودية في الأبواب التراثية، والقصور التاريخية، ومن جملة اللوحات الفنية المعروضة «باب تراثي»، وهو من الخشب، وتظهر فيه بعض النقوش التراثية الجميلة. و«البحارة»، وهم أناس يعيشون في المدن الساحلية، ويشتغلون في صيد السمك، وتظهر في اللوحة المراكب التقليدية الشراعية، «التلواح»، وهو تدريب الصقور، وهي رياضة عربية أصيلة، و«أمومة»، وهي تمثّل العناية بالطفل قديماً، وتظهر الأدوات القديمة المستخدمة، والزيّ التقليدي، «باب مكة»، وهي من البوابات التاريخية في مدينة جدة القديمة، «بوابة دخنة»، وهي من البوابات القديمة

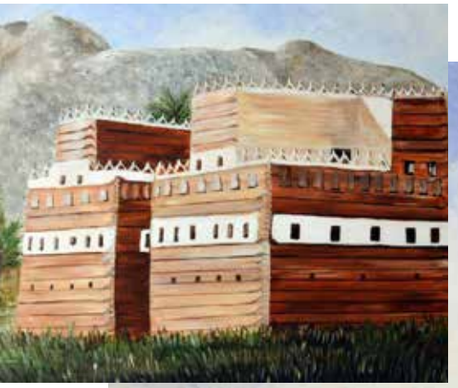

في مدينة الرياض القديمة، «بيوت المنطقة الجنوبية»، وهي بيوت جميلة، وتتميز بالنقوش والزخارف والألوان الرائعة، و«حارة قديمة»، إحدى الحارات القديمة، وتظهر بيوت الطين قبل البناء الحديث، و«راعي الإبل»، وهي تربية الإبل التي اشتهر بها العرب، و«شارع الثميري»، وهو من الشوارع التاريخية القديمة في مدينة الرياض القديمة، و«شارع السوق بحائل»، وهو من الشوارع القديمة بمدينة حائل، و«شارع الهفوف»، أحد الشوارع القديمة في مدينة الهفوف، و«صناعة المداد»، والمداد تستخدم للجلوس عليها، وهي تصنع من عيدان شجر الأسل، التي تنمو على مجرى المياه، و«طفولة الماضي»، وهي طفلة ترتدي الملابس التقليدية التراثية، و«قصر الضيافة»، ويقع في مدينة الدرعية التاريخية، و«ميناء الجبيل»، وهو من الموانئ القديمة في مدينة الجبيل القديمة، و«ميناء العقير»، أحد الموانئ التاريخية على ضفاف الخليج العربي، «نافذة على الماضي»، وهي تمثل النافذة التراثية، ومن خلالها يظهر البناء الطيني التقليدي.

أما اللوحات الإماراتية، فقد استعرض فيها معالم وشواهد من الإمارات، في رحلة وتطواف جميل وعميق في أعماق التاريخ، حيث المعالم التاريخية الشامخة التي لا تزال حيّة تنبض، تروي بين جنباتها قصة الإنسان الإماراتي، الذي بنى وشيّد تلك الصروح العالية والمباني التاريخية، ومن بينها «أحد أبراج قصر الحصن»، وهو من الحصون القديمة والتاريخية في مدينة أبوظبي، و«أحد الأحياء التراثية القديمة في إمارة دبي»، و«أحد الحصون التاريخية في إمارة الشارقة»، و«حصن فلج المعلا»، وهو من أهم الحصون، ويقع في إمارة أم القيوين، و«سكة قديمة» في إحدى حارات إمارة الشارقة قديماً، و«قصر الحصن»، وهو حصن تاريخي يقع في مدينة الشارقة، و«قصر المويجعي»، وهو مبنى تاريخي ويقع بمدينة العين، و«قلعة الجاهلي»، وهي من أهم المباني التاريخية في مدينة العين، و«قلعة الحصن» الشهيرة والأثرية بإمارة عجمان، و«قلعة الرمس» الشامخة، وتقع في إمارة رأس الخيمة، و«قلعة الشيخ سلطان»، وهي قلعة تاريخية جميلة وتتميز بزخارف جميلة رائعة، وتقع بمدينة العين، و«قلعة الفجيرة»، وهي من أشهر القلاع وأضخمها في مدينة الفجيرة، و«قلعة المربعة» في أبوظبي، و«مربعة الشندقة»، وهي من الأبراج المربعة الشكل، وتقع في مدينة دبي، بيوت قديمة، وتمثل بيوتاً تقليدية على شاطئ البحر بإمارة الشارقة، و«حصن الفهيدي»، وهو من المباني القديمة في مدينة دبي، و«برج المقطع»، وهو من الآثار التاريخية في مدينة أبوظبي، و«إحدى بوابات قلعة الجاهلي»، وهي من البوابات التقليدية الجميلة لقلعة الجاهلي.

معرض صقلية... معالم وشواهد

يعرض مواقع أثرية وتراثية شاهدة على تاريخ جزيرة صقلية، وجزيرة صقلية كما هو معروف، تعتبر أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط، وخلال تاريخها كانت موقعاً استراتيجياً حاسماً، وذات أهمية بالغة في طرق التجارة المتوسطية، ويعتبرها كثيرون عبر التاريخ بأنها أعظم وأجمل مدينة في اليونان القديمة، وهي اليوم عبارة عن إقليم حكم ذاتي في إيطاليا، ويبلغ عدد سكانها نحو 5 ملايين نسمة.

لدى صقلية ثقافة غنية ومميزة، خصوصاً فيما يتعلق بالموسيقى والأدب والنمط المعماري والمطبخ التقليدي والشعبي، وفيها الكثير من المواقع الأثرية المهمة، مثل نكروبوليس بانتاليكا، ووادي المعابد، وسان كاتالدو، المعبد المسيحي الذي بني في القرن الثاني عشر، وقصر القبة، الذي شيد للملك وليام الثاني في ميدان شايع سمي بجنة الأرض، ويتميز الصقليون بتقنية الزخرفة الخاصة التي تمزج معاً الرخام متعدد الألوان والأحجار شبه الكريم، وتتجلى في كثير من آثارهم، مثل فسيفساء مصلى بالاتين، كما تتميز بوجود آثار إسلامية عديدة، واستخدم المسلمون والعرب في أعمالهم في صقلية السيراميك الذي كان يضفي لمسات جمالية مميزة على تلك الأعمال.

وقد استندت فكرة المعرض في «أيام الشارقة التراثية» إلى تلك الآثار التي تميز الجزيرة، حيث كان المسلمون هناك في تلك الجزيرة في مرحلة تاريخية سابقة، في الجزيرة التي تشتهر بالزراعة ويقوم اقتصادها عليها، ونفذوا عمليات إصلاح زراعي كبيرة، وطوروا نظام الري، الأمر الذي أسهم في رفع الإنتاج، وترك المسلمون الكثير من المعالم والشواهد التاريخية، مثل القصر الذي تحيد به الأسوار، ومسجد الجمعة الكبير، وقصر السلطان في حي كالسا أو الخالصة، وغيرها الكثير.

تراث اليمن في الشارقة

احتضن مركز فعاليات التراث الثقافي في «البيت الغربي» فعاليات أسبوع التراث اليمني لشهر مايو، التي انطلقت بحضور محمد خميس، مدير معهد الشارقة للتراث بالإنابة، والقنصل اليمني العام، محمد صالح القطيش، والدكتور فهد سعيد المنهالي، سفير الجمهورية اليمنية، حيث تابع زوّار مركز الفعاليات الثقافية في «البيت الغربي»، بقلب الشارقة، وعشاق التراث والباحثين والمختصين تشكيلة من الأنشطة والفعاليات والبرامج التي تستمر على مدار خمسة أيام، لتصحب الزوّار والحضور في رحلة شائقة وجميلة في ربوع اليمن وتاريخه وحضارته العريقة. تأتي فعاليات أسبوع التراث اليمني ضمن برنامج أسابيع التراث العالمي، الذي ينظمه معهد الشارقة للتراث، حيث يستضيف في كل شهر بلداً عربياً أو أجنبياً، تحت شعار: «تراث العالم في الشارقة»، لعرض ملامح من عناصر ومكونات تراثه.

عقيق يماني

واشتمل الجناح على معروضات من منتجات حرفية يمنية عريقة، مثل تلك التشكيلة التقليدية من الأحزمة المذهبة والمرصعة بالفضة، والخناجر (الجنابي)، والسيوف التراثية العريقة، والأساور والحلي، والعقيق اليماني المستخرج من أحجار نادرة في بطون الجبال، والمشغولات الفضية واليدوية عموماً، التي تفوح منها روائح الماضي وجماليات التراث والفن، بالإضافة إلى العروض الفنية والشعبية من طرب أصيل وموسيقى عذبة، حيث قدمت الفرق اليمنية ألواناً متنوّعة وأشكالاً جذابة من ألوان التراث اليمني.

تراث عريق

وقال الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث: «نرحب بالأشقاء اليمنيين في بيتهم الدائم، لنجول معهم في رحلة عبر جغرافية وتاريخ وتراث اليمن العريق، ننهل من خلالها الكثير حول اليمن وتاريخه وتراثه العريق، الذي يشكّل أحد أهم عناوين التاريخ والحضارة على مستوى المنطقة العربية».

مطبخ ومشغولات

من جانبه، قال القنصل اليمني العام، محمد صالح القطيش: «أسبوع التراث، فرصة جيدة للقاء وتعريف الزوّار والحضور بالتراث اليمني، حيث لدينا الكثير مما نعرضه على أكثر من صعيد، سواء ما تعلق بالمطبخ اليمني العريق أو المنتجات الحرفية والمشغولات اليدوية، أو الطرب الأصيل والموسيقى».

قصائد «عام زايد» زايد الشاعر

عتيـج القبيـسي
شاعر وباحث تراثي
ateequbaisi@gmail.com

الوالـد القائـد الشـيخ زايـد بـن سـلطان آل نهيـان، طيّـب اللـه ثـراه، وجـزاه عـن هـذه الأمـة خـير الجـزاء،
بـاني هـذه الدولـة ومؤسـس نهضتهـا، وموجـه دفتهـا نحـو إقامـة صروح العلـم والثقافـة، لم يكـن يدّخـر جهـداً للنصـح، وينتهـز كل فرصـة ليوجـه حديثـه للشـباب والناشـئة فيحتويهـم بالنصـح والتوجيـه، ولا يبخـل عليهـم بالثنـاء والتشـجيع، وهـذه مـن أهـم وسـائل
بنـاء النفـس البشريـة البنـاء الإيجـابي.. وكـذا كان في شـعره، فهـو لم يغفـل جانـب النصـح والإرشـاد والتوجيـه في قصائـده، وهـذا شـأن الأب الـذي يريـد الخـير دائمـاً لأبنائـه، فإنـه يحسـن تربيتهـم وتوجيههـم، لينشـؤوا عـلى خُطـا الأوّلـين، ويريـد منهـم أن يقوّمـوا سـلوكهم إلى مـا هـو أفضـل، بحيـث يكـون كل واحـد منهـم قـدوة لبنـي جيلـه، يعلـو بصفاتـه وسـلوكه عـن ضحضـاح
الأمـور، دائـم البحـث عـن العلـم والمعرفـة، لا ينجـرف وراء الذيـن يحاولـون غوايتـه وإبعـاده عن
جـذره وتجريـده مـن هويّتـه، ويخلـد ذكـره بعـد رحيلـه، ولا ينسـاه النـاس.. تمامـاً كـما هـو الحـال مـع الشـيخ زايـد نفسـه، فرغـم غيابـه عنّـا جسـداً، إلاّ أنـه مـا زال وسـيظل يسـكن القلـب، ويقتـدي بمـكارم أخلاقـه كل مـن عرفـه وعـرف صفاتـه.
وفي هـذه الزاويـة الشـهريّة سـنتناول قصيـدة مـن قصائـده في كل عـدد، نقرؤهـا، نتعـرّف عليهـا، نسـتخرج منهـا العـبر والمعـاني التـي تنفعنـا بـإذن اللـه، في مسـيرة حياتنـا.

وقصيدتنا لهذا العدد..

لي مـا يجابـه حادثـات الليـالي ... بالصبر، ما يدرك من المجد غايات
لا تكتـرث يا صاحبي، لا تبـالي ... فالدّهر له في ضيم الاحرار عادات
وانتـه خبيـرٍ في طـروق المعـالي ... وعندك على حسن التجارب شهادات
فـأخذ الأمور بحكمـةٍ واعتـدالِ ... تلقـى النتـايج بالتأنّي جميـلات
وِان زَل في حقّـك محـبٍّ مـوالي ... فالشهم حَمّال الصّعاب الثقيلات
يا طود قومه، كون كالطّـود عـالي ... لا، مـا تزحزحه الرّياح العتيّـات
دنياك تسـقي الحـر مُـرٍّ وحالي ... والشهم من يبقى على العزم ثَبّات
فَـالحَي مِنّـا تعتـريـه الاهـوالِ ... والفايز، الصابر على كل حالات
وانتـه بحمد الله على خير حالِ ... تعيش من روض المحاسن بجنّات
واسـال رَبٍّ في السمـاوات عالي ... يجمع شَمِلكم في نعيمٍ وراحات
ويزول ما في النّفس بين الأهالي ... وتـرجع قلوبٍ بالتّصافي مليّـات
ويمـيس في ظلّك حسين الـدَّلالِ ... سِيد المها لي لَه على الخود ميزات
دَقّـق وعـاين يالشّهم في مقـالي ... واقبل من محبّك جزيل التّحيات

في هـذه القصيـدة يقـدّم والدنـا المغفـور لـه بـإذن اللـه النّصـح والتوجيـه والحـثّ عـلى الصـبر الجميـل، وتحمّـل أذى ذوي القـربى، وهـذا مـن شـأن أولي العـزم والنّـاس العظـام، فيقـول رحمـه اللـه في مطلعهـا:

لي مـا يجابـه حادثـات الليـالي ... بالصبر، ما يدرك من المجد غايات
لا تكتـرث يا صاحبي، لا تبـالي ... فالدّهر له في ضيم الاحرار عادات
وانتـه خبيـرٍ في طـروق المعـالي ... وعندك على حسن التجارب شهادات

هنـا هـو يتطـرّق إلى موضـوع الصلـح بـين طرفـين متنازعـين، لكـن بشـكل غـير مبـاشر، فهـو يرسـل الرمـوز والإشـارات للطـرف الآخـر، لعلمـه يقينـاً بـأنَّ المُخاطَـب ذو درايـة وخـبرة بهـذه الأمـور، لكـن الغضـب أو شـدّة المفاجـأة مـن غـدر الأقـارب زعـزع شـيئاً مـن اتزانـه وحنكتـه، فيذكّـره المغفـور لـه بـإذن اللـه بقولـه: (وانتـه خبـيرٍ في طـروق المعـالي// وعنـدك على حسـن التجارب شـهادات)، أي انّـك مشـهود لـك برجاحـة العقـل واتزانـه، ولـك في مثـل هـذه الأمـور مواقـف تشـهد لـك، وكأنّـه يقـول لـه بأنّـك قـادر عـلى تجـاوز هـذه المحنـة بفطنتـك وخبرتـك الحياتيّـة.

ثمّ يسترسل شاعرنا، رحمه الله، إلى أن يقول:

وِان زَل في حقّـك محـبٍّ مـوالي ... فالشهم حَمّال الصّعاب الثقيلات
يا طود قومه، كون كالطّـود عـالي ... لا، مـا تزحزحه الرّياح العتيّـات
دنياك تسـقي الحـر مُـرٍّ وحالي ... والشهم من يبقى على العزم ثَبّات
فَـالحَي مِنّـا تعتـريـه الاهـوالِ ... والفايز، الصابر على كل حالات

نلاحـظ هنـا أن المخاطَـب عـانى غـدرِ أقـرب النـاس إليـه، وأن الشـيخ زايـد، غفـر اللـه لـه، وأسـكنه فسـيح جنّاتـه، كان يسـعى لتهدئتـه وتذكـيره بأنـه رغـم مـا حـدث فإنّـه يبقـى كبـير قومـه، وصاحـب الـرأي فيهـم، وأن الكبـير لا بـدَّ أن يبقـى كبـيراً لا تؤثّـر فيـه أي أحـداث، تمامـاً كالطـود العـالي لا تزحزحـه الرّيـاح مهـما بلغـت مـن عتـوٍّ وحـدّة، وأن للإنسـان كأسـين، أحدهـما مـرٌّ والآخـر حلـو، ولا بـد لـه أن يـذوق الكأسـين هـذا قبـل أو هـذا بعـد، المهـم أن يبقـى عـلى عزمـه وثباتـه ويصـبر عـلى كل الأحوال.

ثـم يقـوم شـاعرنا، رحمـة اللـه عليـه، بتوجيـه نظـر المُخاطَـب إلى الجوانـب الإيجابيّـة، حيـث يقـول لـه: (وانتـه بحمـد اللـه عـلى خـير حـالِ// تعيـش مـن روض المحاسـن بجنّـات) أي أن الحـوادث بجميلهـا وقبيحهـا، والأيـام بحلوهـا ومرّهـا، هـذه كلّهـا مـن مكوّنـات الحيـاة وتقديـر اللـه، عـزّ وجـل، لكنّـك رغـم هـذا كلّـه مـا زلـت تنعـم بالصحّـة والعافيـة وحولـك ناسـك وأحبابـك، فاحمـد اللـه عـلى النّعَـم، ولا تـدع حادثـةً واحـدةً مهـما كان حجمهـا تؤثّـر فيـك وتعكّـر صفـو حياتـك، ثـم يختـم قصيدتـه بالدعـاء أن يجمـع اللـه شـمل المتخاصمـين، ويزيـل مـا في نفوسـهم مـن بغضـاء، وترجـع قلوبهـم إلى تصافيهـا، وتنتهـي مـا بينهـم كل أسـباب الخـلاف والشـقاق:

وانتـه بحمد الله على خير حالِ ... تعيش من روض المحاسن بجنّات
واسـال رَبٍّ في السمـاوات عالي ... يجمع شَمِلكم في نعيمٍ وراحات
ويزول ما في النّفس بين الأهالي ... وتـرجع قلوبٍ بالتّصافي مليّـات
ويمـيس في ظلّك حسين الـدَّلالِ ... سِيد المها لي لَه على الخود ميزات

وهـذا هـو زايـد بـن سـلطان آل نهيـان، طيّـب اللـه ثـراه، وأسـكنه فسـيح جنانـه، دائـم السـعي وراء الصلـح والتقريـب ونبـذ الفرقـة والخلافـات وتقريـب وجهـات النظـر، ولم يلقّـب بحكيـم العـرب إلّا ليقـين العـرب، بأنّـه لا يضـع يـده عـلى مشـكلة مهـما كانـت صغـيرة أو كبـيرة إلّا أنهاهـا وأصلـح بـين الخصـوم، وأعادهـم راضـين متناسـين مـا كان بينهـم مـن خـلاف وشـقاق وعـداء.

وإلى اللقـاء في العـدد القـادم وقصيـدة أُخـرى مـن قصائـد الوالـد الشـيخ زايـد.

المرجع: ذرب المعاني «قراءات في قصائد الشيخ زايد» للكاتب والناقد محمد عبدالله نور الدين، دار نبطي للنشر، أبوظبي، 2017.

«غزالٍ سَلبْني»

علي العَبْدان
شاعر وتشكيلي وباحث تراثي
الإمارات
abdanart@gmail.com

الفنان الإماراتي
محمد سهيل

قصيدة «غزالٍ سَلبني» من كلمات الشاعر الإماراتي سالم الجمري، وغناء الفنان الإماراتي محمد سهيل، أما الشاعر فهو سالم بن محمد الجَمْري العميمي، وُلد في منطقة ديرة بدبي عام 1910 تقريباً، وبدأ قرضَ الشعر في الخامسة عشرة من سِنيِّ عُمره، وفي أواخر الخمسينيات من القرن الماضي تعرّفَ الشاعر إلى المطرب الإماراتي حارب حسن، الذي كان أولَ مَن غنّى أشعارَه، حيث لحّنَ وسجّلَ قصيدته «لعى الجَمري على فرقا ضنينه» التي نظمها الشاعر في رثاء زوجته، وفي الستينيات تعرّف الشاعرُ أيضاً إلى المطرب علي بالروغة، وكان هذا التعارف بالذات بداية لمسيرةٍ فنيةٍ جمعت الطرَفيْن، الشاعرَ والمطربَ لمدةِ عشرين عاماً تقريباً، غنّى فيها علي بالروغة لسالم الجمري ما يُقاربُ المائة قصيدة، وقد طبعَ الشاعرُ الجَمري الكثيرَ من هذه الأغاني بطابع تلك العلاقة، حيث كان يُصرّح باسم علي بالروغة في بداية القصيدة نداءً أو مُناشدَة، ثم غنى له أيضاً الكثيرُ من مطربي الإمارات، مثل محمد سهيل، ميحد حمد، وغيرهما، وقد توفي شاعرُنا، رحمه الله، في دبي عام 1991.

القصيدة

غزالٍ سَلبْني وانا مقبلي .. رماني بسهمه على مقتلي
رمقني بعينه وقالّي تعالْ .. نعزمك يَهذا على منزلي
نعزمك يَهذا معانا تروح .. نداوي قليبك وتبرا الجروح
واتذوق غبْقٍ وعَلّ وصبوح .. من مَبسمٍ أعذبٍ سَلسلي
سَلبني وقفّا يتلّ الردوف .. فِتر مِن حيابه إلين الكتوف
وانا مبتهت من حلاة الزلوف .. وشَعرٍ يضفّيه متعشكلي
تشاكل الامَرْ يوم قفّا الضنين .. وقمت اتبعه مثل تبْع الجنين
امْطيع ومذعِنْ وله مستدين .. وقال اختفي عن تشوفك هَلي
وقال اختفي عن بقايا الوغود .. ترى في المَلا من محبّ وحسود
تعال يوم الخلايج رقود .. بانختلي في مَحلٍّ خِلي
بانختلي والمحبّه غرام .. ومنّي التحيّه ومنك السلام
وبانبتدي من بعَد بالكلام .. وامّا تبا عندنا يحصلي
حصلّي معه ذوق رَشفٍ وعَل .. من اشفتينٍ لماهن عسَل
وخدود وردٍ عليهن أمْطل .. شمّيت منهنْ شذا صَندلي
تصيّدت له والخلايج نيام .. وجيت ولمسته بطرف البهام
وفزّ وتبسّم وقال السلام .. تفضل عزيزي ولا تخجلي
خجلني جماله ونور الخدود .. وجيدٍ امتلّع وفيه العقود
وجلباب صدرٍ عليه النهود .. كتفّاح شامي ولون اشهلي
وشاهدت عُودٍ كوصفِ القضيب .. وردفٍ تعلّى وخصرٍ جبيب
وهو الطليب الحبيب اللبيب .. شغفني بحبه وبه مبتلي
بلاني زماني وخذني هواه .. وتيّم غرامي ترى من غواه
غنوجٍ غضيضٍ على ما تباه .. يجر الهوى لي على مغزلي
يغَزْل الهوى لي بليّا بريم .. وزلفِه امْحَترِش يدق البريم
وريجه يشافي العليل السجيم .. كوصف البَرَندي بكاسٍ مَلي
ملكني بحبّه كملك العبيد .. وانا خادمٍ له على ما يريد
أداريه مَدراة حبل الوريد .. كمَدراة عيني ولا يزعلي
زعولٍ خيولٍ ضيورٍ غيور .. يعاتب ويصلح على كل طور
ولى صَدّ عنّي ابجيت امْحَقور .. غبينٍ واصفّج بكفٍّ خِلي
خياله بعيني ولو في المنام .. وتاتي بشوفه روايا الحَلام
وذِكره بقلبي اميديم الدوام .. واسمه مناسب على مزملي
مزامل مقالي لغيري اتعيب .. ولا لي امْباكي ولا من يجيب
أنا وين اغنّي وقلبي صويب .. وجرحي أداويه بالحنظلي

وزن هذه القصيدة من جملةِ أوزان الجَدوَلي، وهو نظير بحر المتقارب في الشعر الفصيح، وأبياتها تدل على هذا، منها مثلاً:
غزالٍ سَلبْني وانا مقبلي .. رماني بسهمه على مقتلي
فتقطيع الشطر الأول:
غزالن = فعولن، سَلَبْني = فعولن، وَنا مِقْـ = فعولن، بِلِي = فعو.
وتقطيع الشطر الثاني:
رماني = فعولن، بسَهْمِهْ = فعولن، على مَقْـ = فعولن، تلي = فعو.
فهذا نظيرُ بحر المتقارب، كما هو ظاهر، وهذه القصيدة حسبَ اصطلاح الشعر النبَطي «مَربوعَة»؛ أي أنها تتكوّن من وحدات، و«كل وحدة منها تتكوّن من أربعة أشطر، يتبع الشاعر في تكوينها نظاماً متكرراً في كل وحدات القصيدة».
وهذه القصيدة – في رأيي الخاص، وكما هو ظاهرٌ من مفرداتها وسياقها – ليست قصيدةً جادةً في الشكوى؛ بل يبدو أن الشاعرَ قصدَ بها إلى رسم لوحةٍ «نواسيّة» الطابع لإبهاج المستمع، ولهذا جاءت هذه القصيدة على وزنٍ طرَبيّ أو حَماسيّ الطبيعة وهو المتقارب؛ بعكس قصيدتهِ الأخرى: «غنّى الحمام وهيّج القلب بغناه» التي تموجُ بصدق العاطفة، وحضور الأشجان، وتصوير لهيب الفقد.

الأغنية

ذكرتُ أن المطرب الذي غنّى هذه الأغنية هو الفنان محمد سهيل، وهو محمد سهيل مرزوق بن هويدن الجتبي، وُلد بإمارة عجمان عام 1931، وكان يعيش مع والديْه حتى تُوفيَ أبوهُ، وحين بلغ الثالثة عشرة من عمره سافر إلى البحرين للعمل، وبعد مُدةٍ سافر إلى المملكة العربية السعودية، وهناك تعرّف إلى الكثير من مُحبّي الفن والطرَب، فتعلم العزفَ على آلة العُود، وبدأ يُلحّنُ، ويكتبُ بعضَ القصائدِ كذلك، وغنى له الكثيرُ من المطربين منهم الإماراتي حارب حسن، وأسّس تسجيلات «سُهيل» خلال فترة إقامته في السعودية، وحين عاد إلى الإمارات ليستقرّ بها عام 1968 أسّسَ تسجيلاتٍ أخرى باسم «سهيل فون»، وقد توفاهُ الله عام 1978.
أما لحنُ أغنية «غزالٍ سَلبني» الذي سجّله محمد سهيل على أسطوانة فهو من مقام «راست» على طبقة «النوا»؛ أي راست على نغمة «صول الوسطى»، وهو لحنٌ مناسبٌ لطبيعة القصيدة في معانيها وفي وزنها أيضاً، ذلك لأن مقام «الراست» مقامٌ طرَبيٌّ تحومُ النشوةُ على أبعاده؛ فناسبَ وزنَ المتقاربِ أو «الجَدولي» ذا الطبيعةِ المتدفقةِ في تفعيلاته، كما ناسبَ ذلك الغزلَ الظريفَ في القصيدة الذي قُصِدَ بهِ إلى المتعةِ الذهنيّة؛ لا الشكوى الجادّة مما فعله ذلك «الغزال».
يمتدُ المجالُ النغمي لهذا اللحن من نغمة «صول الوسطى» إلى نغمة «ري جواب»، واللحنُ الأساسي يتكوّنُ من جملةٍ موسيقيةٍ ذاتِ عبارتيْن مُتتابعتيْن نغماً؛ الأولى منهما تبدأ من نغمة «ري جواب» وتنتهي بنغمة «لا الوسطى» بما يُشكّلُ جنسَ «بياتي» على نغمة «لا الوسطى»، وتبدأ العبارةُ الثانية من نغمة «دو جواب» وتنتهي بنغمة «صول الوسطى» بما يُشكّلُ جنسَ «راست» على نغمة «صول الوسطى»، وهي نغمة قرار المقام؛ وكذلك نغمة القرار المؤقت للجملة الموسيقية في نهايتها، وكلتا العبارتيْن من الهيئةِ اللحنيةِ ذاتِها؛ لكن الاختلاف يقعُ مع تغيّر الجنس؛ «بياتي» في الأولى، و«راست» في الثانية، فتكون العبارة الأولى للشطر الأول والثالث من كل بيت، وتكون العبارة الثانية للشطر الثاني والرابع من كل بيتٍ أو وحدةٍ في تركيب هذه القصيدة «المَربوعة».

1 - للمزيد حول حياة الشاعر راجع (ديوان الجَمري)، إعداد وتحقيق د. راشد أحمد المزروعي، نادي تراث الإمارات، أبوظبي 2010، ص 11 فما بعد.
2 - الديوان، ص 465 فما بعد.
3- بهذا البيت ينتهي الوجه الأول من الأسطوانة.
4- في الأسطوانة: هَبلني بحبّه.
5- في الأسطوانة: يجرّ الهوى.
6- كلمتا «خيول، ضيور» في هذا الشطر هما: خجول وضجور (من الضجر)؛ حيث قلبت الجيمُ ياءً فيهما، وهذا القلبُ من لهجةِ أهل الإمارات.
7- في الأسطوانة: رؤيا.
8- أي: رُؤى الأحلام.
9- بهذا البيت ينتهي الغناء لانتهاء زمن الوجه الثاني من الأسطوانة، وللقصيدة بقية؛ إلا أننا اكتفينا بمَحَل الغناءِ منها.
10- راجع (الشعر النبَطي في منطقة الخليج والجزيرة العربية)، د. غسان حسن أحمد الحسن، وزارة الإعلام والثقافة، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الثانية 2003، ص418 فما بعد.
11- المرجع السابق، ص 561 فما بعد.
12- نسبة إلى الشاعر أبي نواس.
13- الجتبي؛ أي: القتبي؛ نسبةً إلى بني قتب الكرام، وقلبُ القاف جيماً لهجةٌ لعموم الخليج، حيث يقولون: «جاسي»؛ ويقصدون: قاسي.
14- من مقالة (أصوات إماراتية في ذاكرة الأغنية) للأستاذ مرعي الحليان، نشرت في صحيفة (البيان) الإماراتية بتاريخ 6 مارس 2011.
15- مقام الراست الأصلي على نغمة «دو الوسطى»، أما هنا فهو على نغمة «صول» كما ذكرتُ أعلاه، ويستغرقُ لحنُ هذه الأغنية النغماتِ الآتي ذكرها من المقام على الطبقة المذكورة: صول، لا، سي نصف بيمول، دو، ري.

فن النوبان

علي العشر
خبير تراث فني

فـن النوبـان هـو أحـد الفنـون الشـعبية ذات الأصـل غـير المَحـلي؛ حيـث يرجـع أصلـه إلى إقليـم النوبـة التـي تقـعُ جغرافيـاً بـين مـصر والسـودان، لذلـك سُـمّيَ هـذا الفـن في الإمـارات خاصـة بفن «النوبـان»، كـما يُطلـقُ عليـه في الخليـج بشـكلٍ عـام اسـم «طنبـورة» أو «دفـن الطنبـورة»؛ نسـبةً إلى الآلـةِ الرئيسـةِ التـي تُعـزفُ فيـه، وهـذه الآلـة كانـت تسـتخدمُها في الأصـل قبائـل «البجّـة» في إقليـم النوبـة، وتُسـمى في السـودان «الطنبـور»، لكنـه ذو حجـمٍ صغـيرٍ قياسـاً بالطنبـورة الخليجيـة، ومـن هنـاك انتقلـت إلى البحـر الأحمـر، ثـم اليمـن، وعُـمان، وسـواحل الخليـج العـربي، ومـن ثـم إلى البـصرة، وتنوّعـت أحجـام وأسـماء هـذه الآلـة بانتقالهـا؛ حيـث نجـدُ آلـة تشـبهها في بلـدان البحـر الأحمـر تُسـمى «سمسـميّة»، وتُسـتخدم حاليـاً في مدينـة بورسـعيد في جمهوريـة مـصر العربيـة، وأيضـاً في غـرب المملكـة العربيـة السـعودية؛ حيـث تُسـتخدم هنـاك في فـن «الخبيتـي»، وكذلـك فـن «الينبعـاوي»، كـما تطـور «الطنبـور» النـوبي أو السـوداني إلى «الطنبـورة» الخليجيـة التـي أصبحـت أكـبرَ حجـماً كـما ذكرنـا.

و«الطنبـورة» هـي آلـةٌ وَتريّـة لهـا صندوقٌ صـوتيٌّ مُجَـوَّف ومُغطـى بالجلـد، ويتكـوّنُ هـذا الصنـدوق مـن وعاء خشـبي مسـتدير يُسـمّى «المِنكَـب»، ومـن عُوديْـن جانبيـيْن مُتسـاوييْن طـولاً؛ يُشـكلان زاويـة منفرجـة فـوق الصنـدوق، ويتصـل بهـما قضيـب مسـتقيم يُعـرَضُ عليهـما أفقيـاً؛ تُشـدُّ عليـه سـتة أوتـار مصنوعـة مـن أمعـاء الحيوانـات بعـد تجفيفهـا، وتنتهـي عـلى سـطح الصنـدوق المُجَـوَّف، وهـذه الأوتـار تعتـلي جـسراً خشـبياً فـوق الصنـدوق تُشـد فيـه، وتُضبـط نغميـاً بوسـاطة لفّـات مشـدودة أيضـاً تُصنع مـن القـماش المَجـدول؛ تكـوّن في القضيـب المَعـروض عـلى العُوديْـن، وتُسـمى عمليـة ضبـط الأوتـار هـذه في فـن النوبـان بـ«التوليفـة».

يُسـمّى العـازف عـلى آلـة الطنبـورة في فـن النوبـان باسـم «السـنجك»، وعليـه أن يكـون متمكنـاً مـن العـزف بعِلـم وخـبرة، وأن يكـون قـادراً عـلى التحكـم في أوتارهـا، ومعرفـة وضعِهـا الصحيـح؛ بحيـث يسـتطيع مـن ثَـمّ أن يُبـدعَ في عـزف التقاسـيم عـلى هـذه الآلـة، والتحكـم في إصـدار الأصـوات منهـا، والتنقـل بـين الألحـان والمقامـات المناسـبة لإيقاعـات فـن النوبـان التـي سـأذكرها لاحقـاً، ويعـزفُ «السـنجك» أو العـازف عـلى آلـة الطنبـورة بوسـاطة رأس قـرن ثـور.

ويرافـق آلـة الطنبـورة ثلاثـة طبـول يُضربُ عليهـا بمضـارب مـن جريـد النخـل، يُسـمى الطبـل الأول «الـراس»، وهـو أسـاسُ الإيقـاع، ومهمتـه الحفـاظ عـلى الزمـن الأسـاسي، والثـاني يُسـمى «الوسـط»، ومهمتـه «التخمـير» أو «التكعيـب»، ومعنـى هذيـن المصطلحـيْن أن هـذا الطبل يُسـتخدم لتأطـير إيقـاع طبـل «الـراس»؛ بمعنـى أنـه يسـد الفراغـات في إيقـاع طبـل «الـراس» بضربـات لازمـة منضبطـة، أمـا الثالـث فيُسـمى «امجينبُـوَّه»، ويُسـتخدم لـ«التكوسـير»، ومعنـاه التشـكيل والزخرفة في الإيقـاع، وابتـداع «نقشـات» لتحليـة الإيقـاع.

أمـا بالنسـبة إلى أحجـام هـذه الطبـول فنجـد أن الأول «الـراس» والثـاني «الوسـط» حجمُهـما واحـد؛ حيـث يُقـدّر قُطـرُ كل واحـدٍ منهـما بــ17 سـم، أمـا الثالـث «المجينبُـوّة» فيكـونُ أصغـر، حيـث يكـون قُطـرُهُ نحـوَ 12 سـم، وكان العـزفُ عـلى هـذه الطبـول قديمـاً يختلـف عنـه الآن، حيـث كانـت تُدفـن في الرمـل مـن الجانـب غـير المُغطـى بالجلـد منهـا؛ مـن أجـل أن يكـون صوتهـا «مكنـون» كـما يُقـال في هـذا الفـن؛ أي غـير ظاهـر بصـورة قويـة، وذلـك لـكي يتناسـب وصـوت آلـة الطنبـورة، أمـا الآن فلـم تعـد الطبـول تُدفـنُ في الرمـل؛ بـل توضـعُ لهـا قواعـد، أو تكـون مغلقـة بالجلـد مـن الجانبـيْن. بالإضافـة إلى الطبـول السـابق ذكرُهـا تُسـتخدمُ في فـن النوبـان أيضـاً آلـة تُسـمى «المَنيـور»، وهـي عبـارة عـن حـزام عريـض مـن الجلـد أو القـماش؛ يُعلـقُ عليـه الكثـيرُ مـن أظافـر الماعـز المُجَوَّفـة، ويُلبَـسُ المنيور حـولَ الخـصر عنـد أداء النوبـان؛ حيـث يُصـدِرُ صوتـاً كصـوت اهتـزاز «الشـخليلة» عندمـا يهـز لابِسُـها خـصرَه مصاحبـاً آلـة الطنبـورة عـلى إيقـاع هـذا الفـن.

وفـن النوبـان لـه إيقاعـات متنوعـة؛ خاصـة في دولـة الإمـارات، منهـا: التهليلـة، القـادري، الحَبْـشي، النـوبي، كـما أن لـه أغـانيَ خاصـة موروثـة، وأخـرى مُجـدّدة، منهـا أغـانٍ نوبيّـة، سـودانية، إفريقيـة، خليجيـة، وغيرهـا، ومـن نصـوص الأغـاني التـي تُغنّـى في هـذا الفـن:

1

دنيا يا دنيا يا دنيا
دنيا لا إله إلا الله
خرجنا من القبور مُذَرْبلين
حديد يبلى واحنا ما بلينا

2

يا غزال من بر السودان

3

سائلوه يا بويه سائلوه
شمسيّه قمريّه
قُربتي يا أبو جَمبيّه

4

لا إله إلا الله
لا إله إلا الله
محمد يا رسول الله

الأمثال الحسانية .. نظرة عابرة

محمدٌّ سالم ابن جدّ
باحث ـ موريتانيا

الأمثال جزء أصيل من تراث الأمم، توظفه باستمرار لكثرة تكرر مناسباته؛ ويعد في قمة الأعمال الأدبية.. تتناقله الأجيال من سلف إلى خلف. والمَثَل لا يكون نتاج نزوة عابرة يعبر عنها معبر جرّاء ملاحظة مباشرة؛ وإنما هو نتاج ملاحظات متواصلة، وتجارب عديدة.. كونه انعكاس ظروف معينة عاشها الإنسان في حقبة ذات نظائر متشابهة؛ لذا قيل: «المثل لا يتغير ولا يكون كذباً».

✶ «المثل – محرّكة: الحجة، والحديث.. وتمثل بالشيء: ضربه مثلاً؛ جمعه: أمثال». (الفيروزآبادي).

✶ «المثل: قول سائر يشَبِّه حال الثاني بالأول؛ والأصل فيه التشبيه.. فقولهم: مَثَلَ بين يديه، إذا انتصب ـ معناه: أشبه الصورة المنتصبة (...) فحقيقة المثل ما جعل كالعَلَمِ للتشبيه بحال الأول؛ كقول كعب بن زهير:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً وما مواعيدها إلا الأباطيل

فمواعيد عرقوب عَلَمٌ لكل ما لا يصح من المواعيد». (المبرد).

✶ «سميت الحِكَمُ القائم صدقها في العقول: أمثالاً؛ لانتصاب صورها في العقول.. مشتقة من المثول: الانتصاب». (الميداني).

✶ «يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية؛ فهو نهاية البلاغة». (إبراهيم بن سيار النَّظَّام).

تمتاز الأمثال الحسانية بأكثر من مميز؛ منها ندرة «أفعل التفضيل» فيما يفترض وجوده فيه.. فلا يقال ـ غالباً ـ «أجور من قاضي سدومة»، بل يُكتفى بعبارة «قاضي سدومة»، كما أن مصادرها متنوعة جداً، فمنها العشرات جاءت من مختصر خليل في الفقه المالكي (ربُّ الدابة أولى بمقدمها، وقدم المسافر، ولو من سمك، فلا إشكال، ضرب لواحدة ضرب لبقيتهن.. إلخ)، وبعضها جاء من ألفية ابن مالك في النحو والصرف (ترك العلامة له علامة، فزيد استغني عنه إذ عرف.. إلخ)، وبعضها جاء من مصادر ذات علاقة بالحياة المعرفية التي ازدهرت بهذه البلاد حتى العصر الحاضر؛ وبعضها جاء من أمثال عربية فصيحة لا غبار عليها (بدل أعور، مادر، طويس.. إلخ)، إلا أن اهتمامي هنا سينصب على طُرُق تناول الأمثال الحسانية.

أقدم من وقفت له على تناول للأمثال الحسانية كان سيد أحمد بن الأمين في كتابه «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط»، وقد أحسن صنعاً حين نشر الأمثال كما تلفظ حرفياً، ثم شرح مفرداتها، وبيّن مضربها، وعلق عليها بأسلوب لا مأخذ لي عليه إلا قلة الكم؛ وهو ما تمليه طبيعة الموقف.. حيث ذكر نماذج ضمن كتاب عام غير مقتصر على الأمثال.

ثم تناولها الأستاذ المختار بن حامد في الجزء الثقافي من موسوعته «حياة موريتانيا»()، وأورد نماذج منها أيضاً؛ ولكنه فصّحها دون إيراد أصلها. وأحياناً يكون التفصيح غير دقيق؛ كما يتجلى في الأمثلة أدناه:

أ- «لا يثلج كعبه» هكذا أورد المثل «ما تبرد دقته»، مع أن «تبرد» كلمة فصيحة، وهي أنسب للمبالغة من «يثلج»؛ لأن البرودة قد تحصل دون الوصول إلى التثلج؛ أما «الكعب» فلا علاقة بينه وبين «الدَّقَّة» المعنية هنا! ولو أنه قال: «لا تخبو شكيمته» لما أبعد عن المرام.. هذا إذا كان لا بد من موردها بالفصيحة.

ب- «الحرق لأم السبع في قفاه»، هكذا عبر عن المثل «يحرگ() أم السبع فاگفاه» وهو مثل يضرب في أن سبّ العظيم في غيابه لا يحط من مقداره؛ بينما تعطي الصيغة التفصيحية معنى مغايراً تماماً: أن «أذية حريم المفترس لاحقة به»!

ج- «السفا لم يحمِ نفسه، فكيف يحمي الحُبَالية»، قليل من يعرف أن السفا هو النبات المسمى في الحسانية «تِيزِّيتْ»، ومن ثم يخلص إلى أن المثل المقصود «تِيزِّيتْ ما فَكِّتْ راصْهَ اتْفِكْ لِحْبَالِيَّه».

وعدا عن هذين كان الأستاذ محمد الحافظ بن السالك قد تناول في بعض أعداد مجلة «الشعاع» التي كان يصدرها المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية في عهديه الذهبي والفضي ــ تناول ابن السالك إذن ــ الأمثال الحسانية بأسلوب علمي تحليلي أيام كان مديراً للبحث بالمعهد المذكور؛ وهو مجهود يذكر فيشكر.

ثم تناول مجموعة باحثين الأمثال في إطار موسوعي يشمل الأساطير والحكايات أواسط العقد الأخير من القرن الميلادي العشرين.. وهو تناول موفق في أحيان كثيرة.. وبأسلوب طيب؛ احترم خصوصية اللهجة، وأردف المثل بتفصيحه عند الاقتضاء، وأورد التعليق المناسب. ولا أجد مأخذاً كبيراً على ما يتعلق بالأمثال من هذا العمل؛ وإذا كان لي عليه مأخذ، فهو محدودية التوزيع، وطريقة توظيف العمل أيام صدوره.. ونحو ذلك من مآخذ غير جوهرية فيما يتعلق بالأمثال على الأقل.

ثم أصدر مؤلفون آخرون معالجات ذات مسعى حميد، لولا ما شابها من أخطاء مطبعية منفرة، أو قصور في التحليل، أو هما معاً.

على أن الأمثال الحسانية ــ والعربية عموماً ــ لقيت عنتاً من متفيقهين في مختلف وسائل الإعلام، ومن بعض المؤلفين الذين تصدوا لما لا قِبَلَ لهم به، مع ضعف الإلمام؛ حتى إن بعضهم لا يدري الجمع المناسب للمَثَل، فأكثرهم يتحدث عن «الأمثلة»() وليس عن الأمثال! والبعض أصدر ما سمّاها «موسوعات» لا تضم إلا نسبة مجهرية من الأمثال في صفحات معدودة؛ ولعل ذلك مبلغه من العلم.

وصفوة القول إن الأمثال حظيت في المؤلفات بتناول تراوح بين الجيد، والمتوسط، وما لا يساوي الحبر الذي كتب به، بل ما هو إساءة إلى الثقافة الحسانية؛ وإن الإعلام ــ خصوصاً المسموع ــ تصدى للأمثال فتناول «الأمثلة» على طريقة:

أقول له زيداً فيسمع خالداً ويكتبه عمراً ويقرؤه بكراً!

بأساليب أساءت إلى أصحابها ولم تحسن إلى الأمثال.. ولا الأمثلة! وعسى أن يكفوا عما لا يعلمون حتى لا يبينوا مزيداً من عجرهم وبجرهم حين يظل كل منهم يهرف بما لا يعرف.

ألعاب الفروسية في المغرب

الزبير مهداد
باحث ـ المغرب

تنتشر فنون الفروسية التقليدية في مناطق كثيرة من العالم، بكل القارات في أوروبا، آسيا أمريكا وأفريقيا. فكل الشعوب تعتبر الفروسية عملا شريفا، ويعتبر الفرس حيوانا في غاية النبل. فبالفرس ومعه يمكن للمرء أن يعيش أفضل لحظات عمره، خلال الحروب أو في فترات السلام.

في البلاد العربية والمغاربية أيضا، ونتيجة الحب الرابط بين الفرس والفارس نشأت الفروسية كنظام اجتماعي وتقاليد وثقافة، تضرب بجذورها في أعماق التاريخ والوجدان الشعبي، وتمنح الفارس والفرس معا مكانة خاصة متميزة في الحياة الثقافية واليومية، وتشهد بذلك البقايا الأركيولوجية والفسيفساء والرسوم الجدارية في العديد من المواقع الأثرية، وكذا القصص والأمثال الشعبية والقصائد الشعرية. فالفروسية تعبير عن الفرح والشجاعة والكرم، والفرس رمز تقليدي للسلطة والمكانة الاجتماعية.

الفروسية في المغرب تاريخ عريق

وقد أولى المغاربة عناية فائقة بالفروسية، فهي تعتبر أحد فنون الحرب والدفاع وله قواعده وشروطه الصارمة. وكذلك تعتبر نشاطا احتفاليا رفيعا وشهيرا ومطلوبا لدى كل القبائل المغربية. وهو ما لفت انتباه كثير من الرحالة الكولونياليين الذين زاروا البلاد، فوثقوا ذلك في كتب رحلاتهم التي تعد مصادر للتأريخ السياسي والاجتماعي للبلاد. وقد خصصت كثير منها حديثا ووصفا دقيقا لهذا الفن، وأشادت بالفرسان ومهاراتهم الفنية والحربية، وقوة وأصالة الخيول المحلية البربرية.

ويقول المؤرخ ألبير عياش بأن النوميديين كانوا يقضون أغلب أوقاتهم في ركوب الخيل ورمي الرماح[1]، وكانوا يشاركون في سباقات كبرى لإبراز مهاراتهم، ومنافسة غيرهم من الفرسان للفوز في السباقات. فالأمير مسطنبال ابن مسنيسا حاكم نوميديا شارك في مسابقة بأثينا، وتحدى فرسان الأمبراطورية الرومانية، وفاز في سباق الخيل[2]. والقائد يوغرطة، مع ما تميز به من وسامة ملحوظة وعلى الخصوص حسن أخلاقه، فلم يخلد إلى لذة ولا انصرف إلى ترف، بل تعاطى جميع الرياضات الجارية في بلاده. من رباط الخيل ورماية الحراب ومنازعة أترابه جواز السابقات[3].

وقد توارث المغاربة لعبتين فروسيتين تقليديتين تعتمدان على الفرس، وهما:

1. «التبوريدة» نسبة إلى البارود، وتقام في كامل البلاد،
2. ولعبة «ماطا» التي تنفرد بها قبائل جبالة بشمال المغرب.

فروسية «التبوريدة»

ومع إطلالة العصر الحديث، أشار كثير من الرحالة الأوروبيين الذين زاروا المغرب أوائل القرن التاسع عشر، إلى ألعاب الفروسية التي كانت تقام في عدد من المدن والقرى المغربية كالصويرة وفاس ومراكش وغيرها، في مناسبات وأعياد شتى، فوثقوا تلك الألعاب واصفين إياها بكل دقة، معبرين عن إعجابهم بطقوسها وتقاليدها[4].

فالفروسية والفانطازيا والتبوريدة هو الاحتفال الجماعي في الأعياد والمناسبات، الدينية والوطنية والعائلية، الذي ينشطه الفرسان الممتطون صهوات خيولهم المطهمة، هذا الاحتفال الذي يستعرض مهارات الفرسان وطقوس احتفالاتهم وثقافتهم وأدوات التعبير عندهم التي يفصحون بها عن مشاعرهم وآمالهم وتطلعاتهم، يحمل الكثير من الدلالات والرموز التاريخية والحضارية والاجتماعية، التي التفت لها عدد من المؤرخين، والباحثين في الثقافة والحضارة والمجتمع المغربي. هذه الاستعراضات الشعبية الواسعة تتم في أجواء من التنافس بين الأفراد والجماعات، ويتبارى فيها الرجال من كل الطبقات الاجتماعية والمهن، كالأعيان، والشرفاء، والتجار، والفلاحون والأمراء وغيرهم، لإبراز المواهب والطاقات القتالية العالية التي يتحلى بها الشجعان أيام الحرب.

عروض التبوريدة التي تقام في المحرك، تقدم بتتابع المجموعات

من الفرسان، يطلق على المجموعة اسم السربة ويتراوح عدد أفرادها في الغالب ما بين عشرة وعشرين فارسا وأحيانا أكثر من ذلك، ينتظم الفرسان في دوائر حول قائد يطلق عليه لقب (العلام) هو رئيس «السربة»، يتولى مهمة ضبط وتشجيع فرسانه وإثارة حماستهم.

ويعلن «العلام» متفاخراً بصوت عال اسم قبيلته، ثم ينتقل الفرسان من تشكيل الدوائر، لينتظموا في صف واحد وبخط مستقيم، للانطلاق إلى مسافة محدَّدة حوالي مائة متر أو أكثر، مبرزين مهاراتهم في كبح جماح خيولهم وإبقائها ضمن الصف.

عندما يتأكد العلام من استعداد السربة للانطلاق، يطلق صيحته المدوية (آآ الحافظ الله) آمرا السربة بالانطلاق، فما إن تسمع الخيول هذه العبارة حتى تنطلق راكظة بأقصى سرعتها، بينما الفرسان يلوحون بأسلحتهم، ويديرونها في حركات بهلوانية نحو السماء، ثم نحو الأرض، وعند اقتراب الخيل إلى نهاية المضمار يصرخ العلام بالفرسان آمرا إياهم بتجهيز البنادق، وعند خط الوصول يصيح العلام بالفرسان، آمرا إياهم بإطلاق النار، فيرفع الفرسان بنادقهم إلى الأعلى مصوبين فوهاتها نحو السماء، ويضغطون على زناد البنادق مرة واحدة، فتطلق البنادق طلقاتها دفعة واحدة وفي لحظة واحدة، تتبعها زغاريد النساء المتفرجات. فنجاح «التبوريدة» مرهون بالدقة والتوقيت بأن تكون طلقات البارود مدوّية في لحظة واحدة، مع الحرص ما أمكن على استقامة صف الخيول المتسابقة وانتظامه.

إثر ذلك يعود الفرسان إلى نقطة الانطلاق (المطلق)، حيث يصطفون في خط مستقيم، أما الخيول التي تزداد هيجانا، فلا تنتظر سوى إشارة «الشيخ» لتنطلق في سباق بديع جديد آخر، يبرهن خلاله الفرسان عن لياقتهم البدنية، وقدرتهم على التحمل، ومهاراتهم الفنية في الرقص بالبنادق وتحريكها واللعب بها.

فروسية «ماطا»

لعبة «ماطا» التي توارثتها الأجيال في قبائل شمال المغرب كانت ترتبط بعملية «تويزة» التي تعني المساعدة والعون، وهو العمل الجماعي الذي يقدمه الأفراد تطوعا لفائدة شخص ما، ولا تلزم المستفيد منه أداء أي أجر أو مقابل.[5] وأهم الأعمال التي تكون موضوعا للتويزة تلك المتعلقة بالزراعة، والتي لا يقوى عليها شخص منفرد، كالحرث والحصاد ودرسه، وجمع الثمار ومحاصيل الأشجار المثمرة كاللوز والزيتون. فعملية «ثويزا» تقليد اجتماعي تعبِّر عن حالة تضامنية موسمية بين أفراد المجتمع القبلي[6]. وارتباطها بالنظام القبلي، يجعلها تخضع للعادات والتقاليد المتوارثة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية لهذه المجموعات البشرية[7]، يعتمد عليها التنظيم الاجتماعي القبلي التقليدي لضمان تماسك طبقات المجتمع فيما بينها.

وتقضي الأعراف والتقاليد بتنظيم أنشطة ترفيهية فنية خلال التويزة كالغناء النسوي والرقص الجماعي، لأجل الترفيه عن المشاركين، وتمثّل هذه الأنشطة نافذة ومجالاً للتعارف والتقارب، وإنتاج علاقات تُتوّج بالخطبة والزواج في هذه الجماعات التي يتم فيها الزواج بالطرق التقليدية.

ومنطقة «جبالة» في الشمال تنفرد بلعبة «ماطا»، تمارس خلال «تويزة»، وقد خصها بالذكر والتعريف بعض الباحثين الذين زاروا المنطقة، وأهمهم لاوست، في كتابه الشهير: كلمات وأشياء بربرية، حيث تكلم بتفصيل عن اللعبة وارتباطها بعملية «ثويزة».

لعبة «ماطا» التي توارثتها الناس بشمال المغرب، يتنافس فيها شبان القبائل للفوز بعروس من قصب تعدها فتيات القرية. هذه اللعبة، التي اشتهرت عند قبائل عياشة، وبني عروس، وسوق الطلبة، وجبل الحبيب، وغيرها، يصعب التثبت من أصلها، فهناك رواية يقول بأن اللعبة هي في الأصل نسخة من «بوزكاشي» التي تعود إلى قبائل منطقة آسيا الوسطى، وقد شاهدها هناك خلال رحلته إلى المنطقة، الولي الصالح عبد السلام بن مشيش دفين جبل العلم ونقلها إلى المغرب، وهناك رواية أخرى تقول بأن اللعبة هي تخليد لذكرى واقعة حقيقية، دافعها العشق، حيث تنازع فرسان عدة قبائل على عروس حقيقية، رغبة في الزواج منها. لكن الثابت أن الفروسية لعبة مغربية أصيلة، وأن الدمية الممثلة للعروس حاضرة في عدة تقاليد مغربية أمازيغية بالخصوص ولعل البحث في الموروث الميثولوجي الروماني سيساعد على إلقاء الضوء على أصول اللعبة التي تقام في شهر مارس، فالحكاية الميثولوجية تقول إن «ماطا» ابنة «أطلس» عشقها «جوبيتر» فتزوجا، فأنجبا «مارس»[8]. وتعميق البحث سيكشف لا محالة عن أسرار هامة.

تقام اللعبة في فصل الربيع، في الحقول الزراعية خلال موسم تنقيتها، فقد جرى التقليد أن تتولى النساء دون الرجال عملية تنقية المزروعات من الأعشاب الطفيلية، فهذه المهمة دون سواها موكولة لهن، شريطة أن يقمن بذلك بكامل زينتهن، لابسات أجمل ما يمتلكن من ملابس. وبعد الزوال، عندما يشارفن على الانتهاء من العمل، تقمن بإعداد دمية تمثل عروسة مزينة باللباس التقليدي، يسمينها «ماطا»، يلعبن بها، ويطفن بها حول الحقول، وهن يطلقن الزغاريد ويرددن الأهازيج المنظومة بالمناسبة.

أثناء ذلك يتقدم منهن فرسان القرية على صهوات الخيول، وتقوم الشابات بتسليم الدمية للشاب الذي فاز بها في الموسم السابق، ويوصينه بالحفاظ عليها، حتى لا تسقط في أيدي القبائل الأخرى المنافسة. فيمنحهن الفارس المختار هبة مالية تكريما لهن. في حين يقوم الفرسان الآخرون بمطاردته لأجل نزع الدمية منه والاستحواذ عليها، وأثناء ذلك، تقوم الفتيات بترديد الأهازيج والزغاريد تنشيطا للعبة وتشجيعا للفرسان.

وفي خضم الصراع والمطاردة، يتقدم فرسان القبائل المجاورة للمشاركة في اللعبة، ومحاولة نزع الدمية من أحضان الشاب. عندها يتضامن فرسان القبيلة داخل فريقهم، ويتخلون عن أنانيتهم، ويلتفون حول فارسهم، يتبادلون العروس فيما بينهم، لا لأجل انتزاع الدمية، بل لحمايتها من فرسان الدواوير والقبائل الأخرى المشاركة في اللعبة. والدفاع عن الدمية حتى تظل في حوزة الدوار.

يحكي بعض الشيوخ أن خسارة فارس القرية للمنافسة، وضياع العروس منه، يعد خسارة فادحة ووصمة عار كبيرة على

جبين القرية بكاملها، وإذا رغبت القرية في استرجاع عروسها، فينبغي أن تنتدب وفدا من أعيانها ووجهائها، يتوجه إلى القرية الظافرة، مصحوبا بفدية من المؤونة من زيت ودقيق وسكر، إضافة إلى ذبيحة، يجتمع أعيان القريتين حول مائدة الطعام، وتقرأ الفاتحة، وترد العروس إلى قريتها الأصلية.

اليوم، تكاد هذه التقاليد أن تنطمس وتنمحي، وعلى الرغم من أن الجهود المبذولة في سبيل إحياء هذا التقليد، قد افلحت في بعثه من جديد، فإنه فقد كثيرا من صفاته الأصلية، واستعار كثيرا من صفات «التبوريدة» فأصبح يقام صيفا بدل فصل الربيع، وتشارك فيه «السربات» بقيادة «العلام» ويتم اللعب في «محرك» مثلما هو الأمر في «التبوريدة». غير أنها، بخلاف «التبوريدة» ما زالت تقام بدون بنادق ولا طلقات نارية، وما زالت الجياد تمتطى بدون سروج.

سحر التبوريدة لا يقاوم

على الرغم من أهمية «ماطا» التراثية، وقدم اللعبة، وحيويتها، فإنها لا تستطيع منافسة فروسية «التبوريدة». فعروض «التبوريدة» بطبيعتها الحربية، ورائحة البارود الذي يملأ الفضاء، وأصوات الطلقات النارية، وزغاريد النساء، تمتلك سحرا لا يقاوم. وخيولها باهضة الثمن، وفرسانها يعدون أبطالا وأعيانا في عيون الناس، ومواسمها تظل عامل جذب سياحي، تحظى بإقبال منقطع النظير. يزيدها ألقا سروج وحليات الخيول الرائعة التي يتباهى بها مالكوها، ولباس الفرسان التقليدي البديع، وعروض الغناء والرقص الشعبيين، وتعد عرسا للصناعة التقليدية، وهو ما تترجمه بصدق الأغنية الشعبية المغربية (لن تعدل أية زهرة، ولن يعدل أي بخور، طيب البارود الدافئ، وطيب الحرب المسكر).

1- Albert ayache histoire ancienne de l’afrique du nord.paris, edition sociale 1964. p.19

2- المرجع نفسه ص 18

3- الصقلي، العربي (محرر) مذكرات من التراث المغربي، روما 1986، ج 1 ص 174

4- A. Brives. Voyages au Maroc (1901-1907). Alger 1909

5- HADDADOU, Mohamed Akli: Dictionnaire des racines berbères communes, Alger, Haut Commissariat à l’Amazighité, 2007, P215

6- برقوقي، الزازية: جدلية الفن والعمل في ظاهرة التويزة بمنطقة سيدي بوزيد، مجلة الثقافة الشعبية، المنامة، عدد 17 السنة 5، ربيع 2012، ص 96

7- الجمري، جعفر: حالة تعبر عن تضامن موسمي في المجتمع القبلي، جريدة الوسط، المنامة، عدد 4616، 28 أبريل 2015، ص 12

8- FOURMONT, Etienne: reflexions critique sur les histoires des anciens peuples, Paris 1735, T1, P207

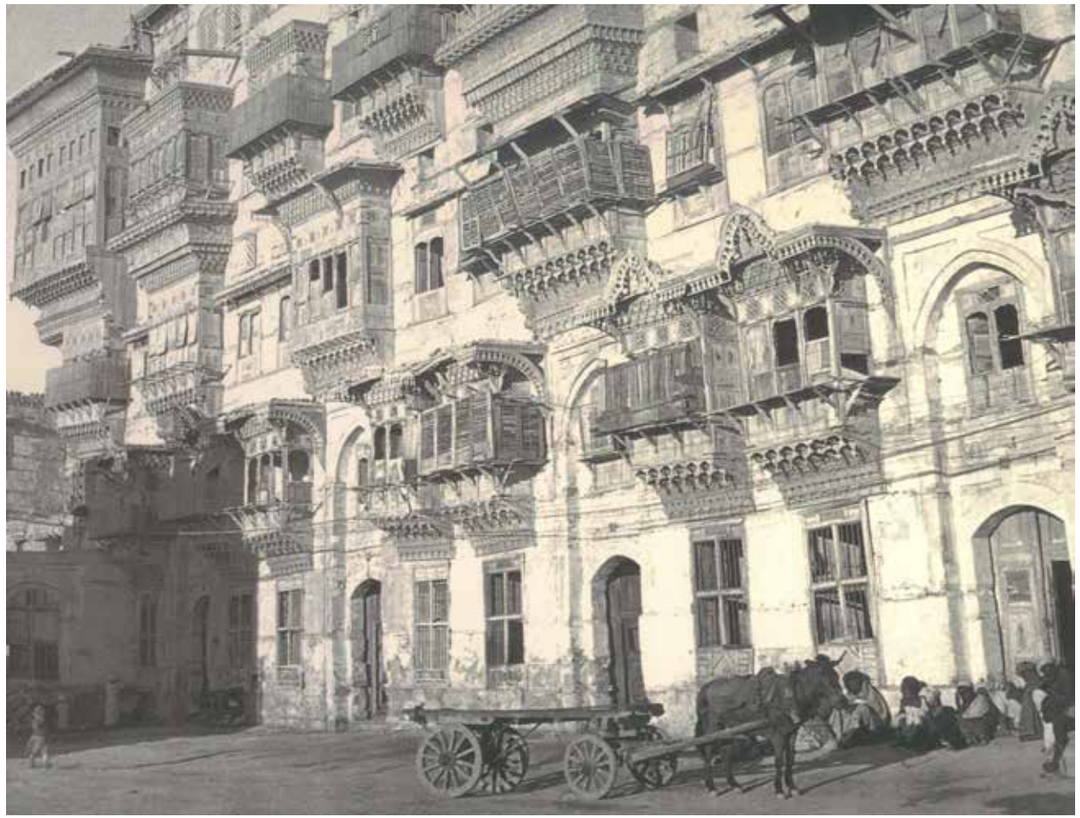

بيوت جدة القديمة... حكايات وذكريات

حوار: يسرى ناصر المهنا
صحفية - العراق

جدة المدينة التاريخية الجميلة الواقعة على ضفاف البحر الأحمر، أخذت من البحر انفتاحها على العالم، وقبولها الوافدين إليها أياً كانت أصولهم وأعراقهم، لتبدو بهذا الانفتاح والتنوع مثل فسيفساء بشرية رائعة من الألوان والأشكال والثقافات. جدة المدينة المميزة كذلك بمبانيها وبيوتها، ذات الطراز المعماري الخاص بمنطقة البحر الأحمر، بارتفاعها الذي قد يصل إلى ثلاثين متراً، وبطوابقها المتعددة، ومشرياتها أو رواشنها الخشبية الجميلة التي تتوسط هذه البيوت.

د. زهرة المعبي

لمدينة جدة ثلاث تسميات: جِدِة وجَدة وجُدة (بالكسر والفتح والضم) ويقال إن تسمية جَدة بهذا الاسم أتت من الأسطورة القديمة، التي تزعم أن السيدة حواء، جدة البشرية مدفونة فيها، فهذه المدينة التاريخية تختزن في ذاكرتها الكثير من القصص والأحداث، التي لا يزال أهلها يتداولونها لغاية الآن. ويعود تاريخ مدينة جدة الى أكثر من ثلاثة آلاف سنة، وازدادت أهميتها بعد ظهور الإسلام، وكانت نقطة التحول في تاريخها في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما اتخذها ميناءً لمكة المكرمة في عام 26 هـ الموافق 647 ومن تلك الفترة اكتسبت مدينة جدة بعدها التاريخي الإسلامي، الذي جعلها واحدة من أهم المدن الواقعة على سواحل البحر الأحمر، وبوابة للحرمين الشريفين.

مدينة جدة القديمة محاطة بالأسوار من ثلاث جهات، وقد شُيدت هذه الأسوار في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، بأمر من قانصوه الغوري، آخر سلاطين المماليك، وذلك لصد هجمات وغزوات البرتغاليين، الذين سعوا جاهدين إلى السيطرة على الملاحة في البحر الأحمر.

مدينة جدة التاريخية القديمة أو جدة البلد (كما يسميها أهلها) ذات الحارات والبيوت والأسواق والمساجد المميزة بالتراث العمراني الأصيل، أُدرجت في 21 يونيو 2014 ضمن مواقع التراث العالمي الذي تديره «اليونسكو».

وتنتشر في مدينة جدة القديمة الكثير من المساجد التاريخية، أبرزها مسجد عثمان بن عفان، ومسجد الشافعي، ومسجد الباشا، ومسجد عكاش، ومسجد المعمار، وجامع الحنفي. كما تحتوي المدينة العريقة النشيطة تجارياً واقتصادياً على عدد من الأسواق القديمة، التي لا يزال بعضها يعجّ بالنشاط والحياة، حيث تنتشر بعض محال الحرف الشعبية والتقليدية القديمة، ومن أشهر أسواق المنطقة التاريخية سوق العلوي، وسوق البدو، وسوق قابل وسوق الندى.

أما الخان أو ما يسمى بـ«القيسارية»، أي السوق الذي يتكوّن من مجموعة دكاكين تفتح وتغلق على بعض، فمنها خان الهنود، æخان القصبة، وهو محل تجارة الأقمشة، وخان الدلالين، وخان العطارين. وحول مدينة جدة وبيوتها ومبانيها القديمة تحدثنا الدكتورة زهرة المعبي خبيرة في التراث ومستشارة اجتماعية وإعلامية فتقول: جدة مدينة منفتحة على العالم، والناس يفدون إليها من كل مكان من العالم الإسلامي، وكل الثقافات تصب في جدة، حيث نرى خليطاً من الأشكال والأزياء والثقافات، وتتكوّن مدينة جدة القديمة من أربع حارات أو أحياء كبرى (حارة الشام في الشمال، وحارة اليمن في الجنوب، وحارة المظلوم في الشرق، وحارة البحر في الغرب) وتتغلغل أشعة الشمس والهواء داخل الأزقة والحارات وفي البيوت، من جميع الجهات، لتمنح الحياة فيها تجدداً وانتعاشاً؛ كما يوجد في الحي الواحد مساجد وزوايا عدة (وهي مساجد تصلى فيها جميع الصلوات ماعدا الجمعة).

وحول بيوت جدة المميزة الجميلة تقول الدكتورة زهرة المعبي، بيوت جدة القديمة، التي بنيت على طراز معماري خاص، يتكوّن بعضها من طوابق عدة، وتمتاز بالمشربيات أو الرواشين الخشب، التي استوردت من إفريقيا وجنوب شرق آسيا.

والمشربيات أو الرواشين إحدى عناصر العمارة التقليدية الصحراوية في البلاد العربية الحارّة، وهي عبارة عن شرفة مغلقة من الخشب، تمتد فوق الشارع أو داخل فناء المبنى، وتُبنى المشربية من الخشب المنقوش والمزخرف والمبطّن بالزجاج الملوّن؛ وبعض البيوت ذات المشربيات أو الشناشيل استغرق العمل في بنائها أكثر من ثلاثة أعوام، وقد اعتمد في بنائها على خشب التوت أو خشب السدر وغيره من الأخشاب المتوافرة.

وقد بنى أهالي جدة بيوتهم من الحجر المنقى، الذي كانوا يستخرجونه من بحيرة الأربعين، ثم يعدلونه بالآلات اليدوية، ليوضع في مواضع تناسب حجمه، إلى جانب الأخشاب التي كانت ترد إليهم من المناطق المجاورة كوادي فاطمة أو ما كانوا يستوردونه من الخارج عن طريق الميناء، خاصة من الهند، كما استخدموا الطين الذي كانوا يجلبونه من بحر الطين، ويستعملونه في تثبيت الأحجار ووضع بعضها إلى بعض، وقد ظلت بعض هذه المباني لمتانتها وطريقة بنائها باقية بحالة جيدة رغم مرور عشرات السنين.

وعن الحياة الاجتماعية في جدة في الماضي، تتحدث الدكتورة زهرة المعبي عن شخصية مهمة من شخصيات جدة القديمة، هي «عمدة الحارة»، الذي يتميز بالنفوذ والشخصية القوية، ولديه سلطات واسعة في البلدة أو الحي، كما لديه مساعد يسمى «العسا» يدور في المدينة حاملاً عصاه، وينظر ويتحرى ما يدور في الأرجاء، لعله يعثر على مشاجرة هنا أو مشكلة هناك، ليتدخل ويحلها، أو يحيل المتورطين فيها إلى العمدة .

كما تتحدث الدكتورة زهرة المعبي عن بعض العادات الاجتماعية في الماضي في أيام «الخُليف»؛ وهي أيام الحج، حيث تخلو جدة من الرجال الذين يتوجهون جميعاً إلى مكة المكرمة لخدمة الحجاج، بينما تبقى النساء والرجال من كبار السنّ، فتتولى النساء مسؤولية حماية المدينة، والقيام بكل الخدمات التي يحتاج إليها الأهالي، ويرتدين في تلك الأثناء ملابس الرجال، وأثناء الراحة تتجمع النساء وهن متلثمات في ساحات خارج الأحياء السكنية، يرقصن رقص الخبيتي، ويلعبن الكيس، ويتحاورن

ويتمازحن من دون قيود أو محاذير، ليقضين أياماً جميلة لا تنسى من أيام جدة المدينة الرائعة المميزة، المستلقية بوداعة على ضفاف البحر الأحمر.

اليابان..
تقاليد راسخة

رية ناكاو
كاتبة وفنانة - اليابان
rimuko2002@hotmail.com

سيارة، تكنولوجيا، أجهزة كهربائية، كمبيوتر، سوشي، تمبورا، ينبوع حار، كيمونو وأنمي.. إلخ، هذا ما يعرفه الجميع عن اليابان اليوم، ومع ذلك، فإن الثقافة والتقاليد اليابانية قريبة جداً من الحياة اليومية للناس والبيئة منذ قديم الزمان.

الموسم

جزر اليابان محاطة بالمحيط الهادئ من الشرق، وبحر اليابان في الغرب. ونحو 70٪ من مساحة الأرض الإجمالية جبلية. ويعدّ جبل فوجي أعلى جبل في اليابان، إذ يبلغ ارتفاعه 3776 م. تتمتع اليابان بأربعة فصول في السنة: الربيع، والصيف، والخريف، والشتاء. يحتوي كل فصل على مهرجانات وأطعمة موسمية خاصة به. يتميز التغير الطبيعي الموسمي بشكله الجميل جداً. في الربيع تتبرعم أزهار الكرز «ساكورا» في لونها الوردي الفاتح، وشكلها الأنيق جداً، وهي واحدة من رموز اليابان. في إبريل تبدأ السنة الدراسية الجديدة، وتبدأ سنة الأعمال الجديدة أيضاً. بعد موسم الأمطار في يونيو ويوليو يكون فصل الصيف حاراً ورطباً جداً، ولكن من الرائع الاستمتاع بالسباحة أو الأنشطة في الهواء الطلق. أوراق الخريف جميلة حقاً مع كل ألوانها الجميلة. والشعب الياباني قدّر جمال سقوط أوراق الشجر منذ العصور القديمة. ويتميز الشتاء بأنه بارد جداً وهناك أماكن فيها الكثير من الثلوج، خاصة الأجزاء الشمالية من اليابان.

الطعام

تم تسجيل «الشوكو» (الطعام الياباني التقليدي) كإرث ثقافي غير مادي من قبل «اليونسكو» في عام 2013، فقد تم تصنيف مطبخ «الشوكو» الخامس في العالم بعد المأكولات الفرنسية والمتوسطية والمكسيكية والتركية. ويتميز باستخدام مجموعة متنوعة من الأطعمة الطازجة الموسمية، واحترام الطبيعة، والنكهة الطبيعية. كما يشتهر بتوازن غذائي صحي لدرجة كبيرة جداً، إذ يعبر عن جمال الطبيعة والتغير الموسمي، ويرتبط

ساشيمي

جبل فوجي مع ساكورا

أوسيجي ريوري

كايسكي ريوري

سوشي

ماكي

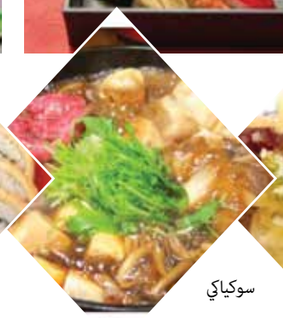

سوكياكي

تيمبورا

ارتباطاً وثيقاً بالحدث الموسمي، الذي يتم ربطه مع المجتمع المحلي، مثل يوم رأس السنة الجديدة. ويوجد هناك بشكل أساسي حساء وأرز مع كل طبق رئيس. وكذلك تتوافر الكثير من المأكولات البحرية الطازجة واللذيذة، حيث إن جزيرة اليابان محاطة بالبحر. على سبيل المثال، هناك «ساشيمي» وهي عبارة عن شرائح نيئة من السمك يتم تناولها مع صلصة فول الصويا. و«السوشي» عبارة عن قطعة صغيرة من المأكولات البحرية النيئة على الأرز مع الخل. و«الماكي» عبارة عن السوشي ملفوف بالأعشاب البحرية، و«التمبورا» خضراوات مقلية ومأكولات بحرية مغلفة مع الخليط. «السوكياكي» وعاء ساخن خاص باللحم البقري الياباني، ويحتوي على شرائح رقيقة من اللحم البقري المطبوخ مع الخضار المختلفة والتوفو (خثارة الفاصوليا).. إلخ.

عادة ما يأكل اليابانيون الأرز في كل وجبة، حتى أثناء تناول وجبة الإفطار، مثل الأرز وحساء الميسو والأسماك المشوية والبيض والمخللات، ومع ذلك يأكل الكثير منهم الخبز اليوم. الغداء يحتوي على وجبة خفيفة مثل المعكرونة، أما العشاء فيشكل الوجبة الرئيسة في اليوم، حيث يجتمع جميع أفراد العائلة لتناول الطعام. الطعام الياباني، في عمومه، مزين بشكل جميل بالألوان والتصاميم والأطباق؛ لذلك يستمتع الناس بالنظر إلى الطعام وتناوله في الآن نفسه.

«أوسيجي ريوري» طعام ياباني للسنة

الجديدة يتم إعداده خصيصاً لتناوله خلال الأيام الثلاثة الأولى من يناير، ويحتوي على أنواعٍ مختلفة من الأطباق المعدة بشكل جميل، يتم وضعها في مجموعة من صناديق الورنيش الصغيرة، وكل طبق ومكوّن له معنى، مثل السعادة والازدهار والحياة الطويلة والصحة الجيدة وحصاد جيد، وهلمجرا.

«الكايسيكي ريوري» وجبة تقليدية ورسمية، في الأصل يتم تقديم الوجبة قبل حفل الشاي، كما يتم ترتيب كل شيء من المكونات إلى أطباق التقديم والأطعمة الطازجة الموسمية بعناية فائقة.

المنزل

لدى اليابان، من الناحية الجغرافية، الكثير من الزلازل، لذلك البيوت المبنية من الطوب ليست مناسبة لليابان. والمنازل التقليدية في اليابان مصنوعة من الخشب. بما أن اليابان جزيرة ذات مناخ حار ورطب، فإن

المنزل الخشبي مناسب لجوها. علاوة على ذلك، يشعر اليابانيون بالاستقرار والاسترخاء في المنازل الخشبية. تقليدياً يخلع الناس الأحذية لدخول المنزل والجلوس على «التاتامي» التي هي عبارة عن حصيرة سميكة مصنوعة من قش الأرز. و«التوكونوما»، عبارة عن فجوة في جدار، وهي مساحة للزينة يضع الناس فيها الرسوم اليابانية والزهور. يتم تقسيم الغرف عن طريق «الفوسوما» و«الشوجي»، وهي عبارة عن إطار خشبي بأبواب جرارة، تمتص النداوة وتطلقها حتى عند وجود الرطوبة في الخارج. وهي مناسبة للمناخ الياباني الرطب للغاية، وتم تطويرها من تجربة الحياة اليومية.

نبع حار «أونسن»

عادة ما يستحم اليابانيون في الليل، ويرغبون في تدفئة أنفسهم بالانغماس ببطء في حوض الاستحمام العميق المملوء بالماء الساخن للاسترخاء، هناك العديد من الينابيع الساخنة في اليابان، لأن اليابان جزيرة بركانية يوجد فيها أكثر من 3000 ينبوع من الينابيع الساخنة. في السابق لم يكن هناك حوض استحمام في المنزل، لذلك اعتاد الناس الذهاب إلى الحمام العام. منتجع «أونسن» مكان شهير للغاية لتعزيز الصحة وعلاج الأمراض أو الإصابات. يختلف محتوى المعادن في الماء من مكان إلى آخر. تختلف الينابيع بحسب الظروف.

الكيمونو

كان جميع اليابانيين يرتدون الكيمونو قبل منتصف القرن التاسع عشر. أما اليوم فيرتدون ملابس غربية في حياتهم اليومية، لكن الملابس اليابانية التقليدية «كيمونو» لا تزال تحظى بشعبية كبيرة. ولاسيما في مناسبات مثل عطلة رأس السنة الجديدة، وحفل بلوغ سن الرشد (في سن الـ20)، وحفلات التخرج في الجامعة وحفلات الزفاف، فضلاً عن حضور الجنازات. والناس الذين يرتدون عادة «الكيمونو»، هم مصارعو «سومو»، والكهنة البوذيون، والعاملون في المهن التقليدية والنادلات في المطاعم أو الفنادق التقليدية. لا توجد أزرار أو سحّاب في هذا الزي التقليدي. ويربط «الأوبي» (أي الحزام) بشكل أنيق على الخصر، ويتم ارتداء «الغيتا» (الصنادل الخشبية العالية) أو يتم انتعال «الزوري» (صندل).

في حفل الزفاف، يغيّر العريس والعروس الثياب والكيمونو مرات عدة، فترتدي العروس «الشيروموكو» وهو ثوب أبيض بالكامل، عندما تترك منزلها بعد أن تعرب عن تقديرها لوالديها اللذين رباها. يعني اللون الأبيض أنها سوف تتغير إلى لون زوجها في وقت لاحق. الكيمونو الأكثر روعة هو «الأوجيكاكي»، وهو ثوب ملون وطويل. ويكون النسيج الحريري مزيناً بخيوط ذهبية وفضية في أنماط من الزهور أو الطيور. يرتدي العريس «الهاكاما» (كيمونو لأجل الرجال). والأم من العائلتين ترتدي «التوميسودي»، وهو لون أسود بأكمام قصيرة، وأنماط من الزهور أو الطيور في الأسفل.

«الفيوريسودي» أيضاً كيمونو بأكمام طويلة ومزيد من الألوان والعديد من التصاميم والعديد من طرق تصنيف أحزمة «الأوبي». في أيامنا هذه تستمتع السيدات الشابات بارتداء كيمونو

العصري. أما مسألة: كيف يميّز الناس أكمام الكيمونو لدى المرأة المتزوجة أو غير المتزوجة؟ فالجواب هو الكم القصير للكيمونو (يعني أنها متزوجة)، والكم الطويل له (يعني أنها غير متزوجة). «اليوكاتا» وهو كيمونو غير رسمي مصنوع من القطن، وأخف وزناً من الكيمونو الطبيعي، ويستخدم في المنزل كملابس نوم. في الوقت الحاضر يتم ارتداؤه في المهرجانات الصيفية أو الألعاب النارية.

الأثر العربي في الحكايات الصومالية

عمر عبدالله ـ مراود

إن الحكايات الشعبية كانت تتداولها الشعوب بينها بحكم الجوار، وعن طريق الاتصال، ومن الواضح أن الشعب الصومالي تربطه بالعالم العربي علاقات ثقافية وتجارية منذ آلاف السنين، وبعد ظهور الإسلام، نقل الوافدون العرب دعوة الإسلام إلى الصومال، لأجل ذلك ليس من الصعب أن يجد الباحث أثراً كبيراً تركه العرب في حياة الاجتماعية والعادات والتقاليد الصومالية، ومن الطبيعي أن تتشابه الحكايات الشعبية لأنها إرث عالمي، ومن هنا نورد نماذج قصصية تدل على الأثر العربي في القصة الصومالية.

التثبت مقابل جمل

يحكى أنه في قديم الزمان، سمع شاب أن رجلاً حكيماً يعيش في مكان بعيد، فسافر إليه ليأخذ منه الحِكم والنصائح والإفادة، وحين لقيه وذكر قصده، قال الرجل الحكيم: إن كنتَ تريد النصائح، فيجب أن تدفع جملاً ثمناً للنصيحة. فدفع الشاب ليأخذ النصح والحكم.

فقال الرجل الحكيم: نصيحتي هي «أن تتثبت الأمور دائماً»، انتهت نصيحتي.

فإن أراد نصيحة أخرى، فعليه أن يدفع جملاً آخر. لكن الشاب رجع، ولم يقنع بأنه دفع جملاً ثمن عبارة واحدة.

وبعد فترة، دخل بيته فجأة، فرأى رجلاً نائماً في بيته بالقرب من زوجته، فغار منه غيرة شديدة، وأراد أن يقتله، لكنه سرعان ما تذكر نصيحة الحكيم (تثبت دائماً)، وبعد التثبت عرف أن هذا الرجل هو صهره، فقد وصل متعباً ونام، ومن هنا جاء المثل المعروف «النصيحة بجمل»، يعني كي تتعلم وتتثبت الأمور لا بد أن تدفع ثمناً، هو تأكيد للتثبت دائماً وعدم التعجل.

انتشرت هذه الحكاية في الصومال، وهي حكمة يأخذها الناس على أنها مثل من أمثال الصومال، وهناك شبه كبير بينها وبين حكاية عربية ظفارية يرويها د. محمد بن مسلم بن دبلان المهري في كتابه «حكايات شعبية ظفارية» وهي:

حكمة الشيخ

يحكي أن بدوياً اسمه حمد، لديه قطيع من الإبل والماشية، ولكن بسبب جفاف الصحراء، وقلة العيش فيها مات بعض القطيع، وبعضه الآخر كان يستخدمه لإطعام أهله وعشيرته، فلم يبق لديه شيء، لذلك قرر الرحيل عن قبيلته إلى قبيلة أخرى لطلب العمل والرزق، فودع زوجته وابنه الرضيع وسافر إلى إحدى القبائل العربية الكبيرة المعروفة آنذاك بغناها، وكثرة ماشيتها وخصوبة أرضها. ذهب إلى شيخ القبيلة وطلب منه العمل، فرحب به الشيخ لما رأى فيه من سمات الرجولة، واستمر حمد في العمل لدى الشيخ، وكان الشيخ كل سنة يكافئه بناقة نتيجة إخلاصه في عمله وأمانته، حتى أصبح لديه قطيع من الإبل.

بعد فترة أحس حمد بالشوق والحنين لأهله، فأخبر الشيخ بأنه يريد الذهاب إلى أهله، فحزن الشيخ لسماع ذلك الخبر، لأن حمد كان بمثابة ابنه لصدقه وأمانته، إلا أن حمد عزم على العودة، ثم طلب من الشيخ أن يعطيه بعض النصائح، فقال له الشيخ: أنصحك بثلاث: الأولى: لا تأخذ بمشورة رجل أعور، والثانية: لا تنزل في واد، وإذا أغضبك شيء بالليل لا تتخذ أمراً حتى يأتي الصباح.

قاد حمد قطيعه من الإبل وفي الطريق قابل جماعة من البدو، فرحل معهم، وفي منتصف الطريق أرادوا أخذ استراحة ثم يكملون مشوارهم في صباح اليوم التالي، فأشار عليهم رجل أعور بأن ينزلوا في وادٍ، فتذكر حمد نصيحة الشيخ ورفض النزول، أما الرجل الأعور ومن معه فقد نزلوا إلى الوادي، فهبت عليهم الرياح والأمطار وجرفهم السيل وماتوا جميعاً، أما حمد فنجا.

أكمل حمد طريقه وما أن اقترب من قبيلته وأصبح على مشارفها حتى أقبل الليل. ترك ماشيته بعيداً عن القبيلة، وسار إلى مكان خيمته، ولاحظ شخصاً نائماً بالقرب من زوجته، فغضب كثيراً واستل خنجره ليقتل الغريب، إلا أنه تذكر نصيحة الشيخ، فتراجع وعاد إلى المكان الذي ترك فيه ماشيته، وأقبل الصبح فجاءه صبي يافع يحمل معه قربة ماء فأعطاها حمد.

وقال له: إن هذا الماء أرسلته لك أمي لتتوضأ به يا أبي.

فاندهش حمد. وقال الصبي: أنا ابنك الذي تركتني طفلاً رضيعاً. وأمي أحست بك البارحة حين أتيت إلى الخيمة، ففرح، وحمد الله على أنه لم يرتكب ما نوى له. وانطلق مع ابنه يقود قطيعه إلى قبيلته، وفرح بابنه.

إن الدارس لهاتين الحكايتين يجد أنهما تتفقان تمام الاتفاق في الهدف، ولما كانت الأولى مروية باللغة الصومالية، يبدوا أن الثانية لها تأثير في الأولى.

وفي كتاب «الأدب الصومالي المعاصر»، يقول علي الشيخ عبدالله يلحو: ويروي الصوماليون أسطورة حول عوج بن عناق يقولون: «إنه كان في قديم الزمان عملاق كبير اسمه عوج بن عنق، طويل القامة، قوي البنية، فكان يمد يده في أعماق المحيطات، فيستخرج الأسماك الغائضة في قاع البحار، فيشويها بالشمس ويأكلها، وكانت الأرض كلها تحت أقدامه، فينتقل فيها من طرف إلى طرف بخطوة أو خطوتين».

هذه أسطورة شعبية يرويها الصوماليون أباً عن جد، وقد وجدتها في كتاب «في طريق الميثولوجيا عند العرب» للأستاذ محمود سليم حوت: «كانت أمه ـ عناق ـ إحدى بنات آدم لصلبه.. هائلة مخيفة.. وفي كل إصبع منها ظفران حديديان مثل المنجلين... ولدت عوجا... فكان يحتجز السحاب فيشرب منه، ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس، ثم يأكله! وعمّر حتى أدرك الطوفان الذي طبق الأرض، وعلا الجبال، فما جاوز ركبته».

إن العلاقة بين هاتين الأسطورتين ليست مجرد تشابه بين الحوادث والأشخاص فحسب، ولكن يبدو أن هناك علاقة تاريخية تعود إلى العصور القديمة، ولا شك في أن إحداهما مقتبسة من الأخرى، وتبدو أنها أسطورة واحدة، انتقلت من شبه الجزيرة العربية إلى القرن الإفريقي.

سوالف الهامور

عبدالله خلفان الهامور
كاتب وباحث تراثي ـ الإمارات

أنتَ أبـــدى... لا والله أبداً.. الناس مقامات

عبارات ومثلها كثير من الألفاظ والتي بدأنا نفقدها، وتلاشت من قاموس لهجتنا وحياتنا، عبارات تحمل بين طياتها الاحترام والتقدير لكل إنسان نعرفه أو لا نعرفه، عبارات تبعدنا عن الأنانية وعن شخصية «الأنا»، هذه الشخصية التي استشرت في مجتمعنا، فأصبح بعض أفراد المجتمع يفاخر بها، ويتبع المقولة المشهورة من إحدى البلدان العربية التي تقول: «يا أرض انهدي ما عليك قدي»، لا يرى إلا نفسه، هذه حياة من يملأ فراغه بالهواء، حياة من يجمع نفسه بضياع، هذه الشخصية كانت نادرة الوجود في الماضي، كان المجتمع يعيش على التكاتف والتآزر والتعاون، ذاك المجتمع كان قليل الموارد الاقتصادية.. نعم، ولكنه كثير في موارده الأخلاقية، إن أخلاق آبائنا وأجدادنا هي حضارة بحد ذاتها.

كان «شوابنا» كي يتغلبوا على هذه الأنانية، كانوا يستخدمون هذه العبارات الأدبية الأخلاقية مثل: «أنت أبدى.. ما أتقدم عليك.. ماطيع.. ما يصير أنت أكبر.. تقدم الناس مقامات»،

وغيرها الكثير، وعلى حسب البيئات واللهجات الإماراتية تجد هذه العبارات الحميدة والطيبة، وتأتي هذه العبارات في مواقف عديدة، منها الدخول إلى المجالس، وعند الخروج منها، وفي الأخذ والعطاء، والجلوس في الأماكن، وغيرها من مواقف متكررة في التعاملات اليومية بين الأفراد، فمثلاً عند الدخول إلى المجلس وبوجود عدد من الرجال، يقف الجميع قبل الدخول، ويبدأ معهم أمر يسمى «المعازم» بحيث يريد كل واحد منهم من الآخر أن يتقدم بالدخول، وأثناء هذا الأمر تقدم هذه العبارات الأخلاقية، التي تنم عن سخاء وطيب قائليها، نعم إنه الإيثار على النفس فهو هنا يقدمه على نفسه لا على غيره، وفي مثل هذه المواقف نستشعر قول الله سبحانه وتعالى «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة»، وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، نقول ونعيد ونكرر، إن عاداتنا وأخلاقنا مستمدة من ديننا الحنيف؛ لذلك يتقبلها العالم، وتتقبلها الفطرة السليمة.

والجميل في هذا عندما يحصل «المعازم» يكون كل منهم قد وضع يده خلف ظهر الآخر، أو يده في يد الآخر، ويدفعه بطريقة راقية إلى الأمام ليتقدمه، موقف ومنظر يدل على الروح الحميمية التي يتمتع كل منهم بها، إنها النفوس الراقية، والأجمل في هذه الكلمات أنها كما يقولها الصغير للكبير، كذلك يقولها الكبير للصغير، ولكن لو حصل أن قدم الكبير الصغير، فإن الصغير لا يتقدم أبداً، فنجد هنا مجتمعاً يحترم بعضه بعضاً، هناك تقدير واحترام متبادل بين الجميع، وفي الوقت نفسه هو تعليم ونشر لهذه الثقافة بين أبناء المجتمع، إن توارث هذه الآداب يزيد من تماسك الناس واعتزازهم بهذه العادات، كم سأكون سعيداً عندما يقدمني أحدهم، وكم سيكون هو سعيداً عندما أقدمه!

في إحدى جلسات «يوم الراوي» عام 7102 في إمارة الشارقة، جلست مع الدكتورة عايدة من الصين، فقالت لي حدثني عن عاداتكم وتقاليدكم، فبدأت بالحديث عن بعض العادات والتقاليد الإماراتية، وبعد أن أنهيت حديثي، قالت: «إن عاداتكم هذه إرث للإنسانية، وليست لكم أنتم فقط، لماذا لا تنشرونها للعالم؟ ثم أردفت قائلة: كنت أظن أن الصين بلدٌ عظيم، ولكن الآن أراه صغيراً أمام هذه الأخلاق». انتهى كلامها.

ألا يحق لنا عندما نسمع مثل هذا الكلام أن نفاخر بعاداتنا وأخلاقنا؟! أليس من الواجب على هذا الجيل أن يتمسك بعاداته ويدافع عنها، ويحميها من كل ما يخدش أصالتها؟! فما بالنا اليوم نرى الابن يتقدم على والده، والشاب يتقدم على كبير السن؟! وكم نرى من هذه المناظر أمامنا في المجالس وقد دخل علينا ابن سبق والده في الدخول، ويبدأ بمصافحة الحضور، وقد ترك والده خلفه لمسافة، ولكأن والده لا يشرّفه في مثل هذه المجالس؟! ومن المشاهد التي نراها وتحصل أمام أعيننا، حينما يقدم كبيرُ السن أحد الشباب فسرعان ما يتقدم الشاب، وكأنها فرصة أتيحت له كي يتقدم على «الشايب»! إذ يفترض من الشاب أن يرفض هذا التقديم، ويقدم الكبير، ويقول له: «أنت الكبير.. لا والله.. مطّيع»، وهنا تتجلى لنا التربية في أسمى معانيها، ويبقى هذا من الاحترام والتقدير لكبار السن، نعم هذا هو المتعارف عليه في المجتمع، بمعنى لو قدمك كبير السن، فأنت لا تتقدمه أدباً وإجلالاً له.

قوافل الحضار

حسن أحمد الظهوري
باحث تراثي ـ الإمارات

دهور الأيام، ومرور الفصول الأربعة، وبساطة الحياة، والعيش الميسور بتحمل وبسالة الإنسان وهو يتنقل من مكان لآخر، من أجل البحث عن لقمة العيش، التي توفر له متطلبات الحياة البسيطة، والترحال من وادٍ إلى أودية، ومن الجبال العالية إلى السهول.. ومن سيف البحر إلى أعماقه.. وتحمل تلك الأسفار التي تمتد أياما وشهوراً.

وفي هذا المقال نسرد قصة القوافل والأسفار ومن عاشوا في تلك الفترة قبل عشرات السنين.. ومن واقع الحياة، وكيف عاش أهلونا وأجدادنا يتنقلون من مكان إلى آخر، وهذا يعرف بـ«قوافل الحضار»؛ لنبين فيه تفاصيل الترحال من «التحضر» إلى «التربيع»، وهو الرجوع إلى المكان ذاته الذي يخص إحدى القبائل العربية الأصلية والعريقة في دولتنا.

تعريف قوافل الحضار:

القوافل جمع قافلة، وهي «الرفقة الكثيرة الراجعة من السفر أو المبتدئة به»، ويكون معها دوابها وأمتعتها وزادها، والحضار من يقيم ويسكن الأماكن كالمدن والقرى والأرياف، ولها تعريفات متعددة.

الاستعداد للترحال:

يتم الاستعداد للترحال «بدر العشر وتباشر القيظ»، وهي مواقيت معروفة وبحسبة دقيقة كانت معروفة لدى «الشياب» الأولين إلى يومنا.. وتتم خلال الفصول الأربعة، ولمعرفة «الدرر المنتهية والقادمة»، وكذلك لتبين لهم المواسم للترحال كأيام الغوص، ومواسم العبادة كالصيام والحج، وما تيسر لهم من علم. ولمعرفة «تباشير القيظ»، وهو مطلع الصيف.. وسوف أوضح ملامح الترحال الذي مارسه آباؤنا خلال الحقبة التاريخية التي تمتد من الأربعينيات والخمسينيات وبداية الستينيات من القرن المنصرم. وسوف أذكر ما كانوا يقومون به الذين ينتمون إلى قبيلة الظهوريين من القبائل المعروفة في إمارة رأس الخيمة بمنطقة، والتي تنتشر بوادي شعم.. وهذه ديارهم ووادِيهم منذ عشرات السنين، ويدل على ذلك ما تبقى من أبنية ومساجد وشواهد وأطلال شاهدة على مر العصور على قدمهم في هذه المنطقة، ومن المشاهد البيوت القديمة وحجارتها الثقيلة وطبيعة بنائها، وهي تقاوم عوامل الطبيعة، وصامدة إلى يومنا هذا، يفتخر بها أبناء الجيل الحالي، وهم ينظرون إلى هذا الإرث التاريخي ما خلفه أجدادهم وآباؤهم وهم يقومون بترميمه وإصلاحه ليكمل مسيرة حضارة قبيلة من القبائل التاريخية في هذه المنطقة، وأيضاً ما يدل على الحصول عن الفخاريات وأنواع الأسلحة القديمة وتوزع القبور في الوادي، ودليل على سكن هذه القبيلة للوادي منذ زمان قديم.

حيث يبدأ الاستعداد بتجهيز متطلبات الحضر «يطحن البر بالرحى للخبيز»، ويحملون التمر إن وجد، والمالح والبرية (كودام) للأكلات الرئيسة ويقومون بخياطة الملابس وتجهيز المحازم والبنادق القديمة كالصمعة والميزر أبو فتيلة والمسلبح، وذلك لحراسة القافلة، مع حمل أجود أنواع السكن والجروز، وهي عبارة عن عصا أعلاها فأس صغيرة تكون دائماً بيد الرجل البادي، وعصاها من أشجار الميز المنتشرة في الجبال، لصلابتها ومتانتها عند الاستخدام للدفاع عن النفس، وفي المناسبات المختلفة، ومن لديه أغنام يتم تسليمها لمن يبقى في الديار، ويقضي أيام القيظ بالمنطقة مع توفير الدواب مثل الجمال والحمير كوسيلة للترحال.

ومن المعروف أن من يحضر كان يقضي القيظ في المناطق قديماً مثل منطقة الباطنة في سلطنة عمان، حيث توجد مزارع النخيل، ووفرة الماء، ونرجع للاستعداد طبعاً، حيث منطقة وادي شعم منطقة محاطة بالجبال من ثلاث جهات، الشمال والجنوب والشرق، وتوجد فيها قرى ممتدة تحت سفوح الجبال.. ومتوزعة على حسب الأسر والبطون... ومساكنها الشتوية حجرية، وهناك قبيلة أخرى تسكن بوادي شعم، هي الشحوح، ويرتحل أهلوها إلى مناطق أخرى، ويسكن غالبتهم بالجهة الجنوبية للوادي من جهة الغرب.

ولو نظرنا إلى جغرافية من المنطقة، فنجد هناك مناطق أخرى مجاورة للوادي كالمطلة على البحر، وهي منطقة الجير، وغالبية سكانها يقومون بأعمال البحر وصيد الأسماك الوفيرة. وبعد التشاور بين أبناء قبيلة الظهوريين بتحديد اليوم للحضر، يتم التحرك مساءً من القرى المتفرعة بالوادي والتجمع عند سدرة تسمى «عود الباع»، بالقرب من «طوى الوسفية»، وهي طوى تسقي المنطقة، وموقعها عند بداية الوادي من جهة الغرب. وبعد تجمع الأسر حسب الوقت المحدد للحضر، ينامون جميعاً في المكان متوزعين على حسب الأسر والعوائل. والتجهز للمسير يبدأ من بعد الفجر، حيث يكون الجميع مستعداً؛ فالرجال يلبسون «الدراعة والوزار والمقيص مع المحازم والبنادق»، والنساء يلبسن التوب الرسمي كأبوطير والتلي الأصلي والبرقع وشيلة النيل لغطاء الرأس، والنعل تسمى ركاح أو وطية مصنوعة من جنح وذيل الدلفين محلياً المصطاد بالمنطقة من بحر شعم، ويسمى «دلفين الفيزو»، ويصنع «النعل» من جلد الأغنام، ومن يملك نعالاً يلبسه، ومن لا يملك يمشي حافياً.

وبعد «أكل الميسور» ينطلقون من مكانهم.. وتتحرك قافلة الحضار بمقدمة الجمال والحمير، وبعدها الرجال والنساء بأعداد الجِمال سبعة أو عشرة، والحمير بعشرين حماراً، ويُحمل عليها الأطفال والمرضى والشواب متجهين غرباً إلى منطقة «الفج»، وهي حارة شعم القديمة، وبعدها جنوب منطقة غيلة حتى منطقة «إيبون» عند منطقة خور خوير حالياً، وهي عبارة عن سدرات كبيرة عددها ثلاث، «يقيلون» تحت السدر ويريحون بالمأكل والمشرب، ويتم التحرك بعد الظهر، «ويطفون» ببطن الجبل ناحية سيح كبدة والقعز، ويدخلون منطقة ضاية وقارة الدم مدخل منطقة الرمس حالياً من جهة الجنوب إلى طوى غيلان. ويتم «المبيات» النوم في هذه المنطقة، حيث يتم توزيع العوائل، وتقوم مجموعة مسلحة بحراسة المواشي والقافلة.

وعند وقت صلاة الفجر يتم تجميع الدواب والمواشي، ورفع المتاع للتجهيز للمسير والتزود بالمأكل، ويتم التحرك من منطقة غيلان إلى منطقة شمل والغب والحديبة إلى القصيدات تحت الغاف بطوى القصيدات، حيث يتم «المقيال» ويجهز ويطبخ الطعام، وتقبل عليهم قبائل لبداة بالسلام والترحاب عند المقيال، ومن يرغب من الرجال والحريم بالذهاب إلى سوق رأس الخيمة في ذلك الزمان قديماً، يفترق عن القافلة وهي متجهة إلى القصيدات، ويذهب لشراء حاجات من ملابس وأمتعة ومأكل والقهوة. وبعد ذلك الالتحاق بالقافلة... وفي بعض الأسفار يتم تأجير سيارة لاندروفر «عريبي» من السوق إلى القصيدات (نصف درهم عن كل فرد) من السوق إلى منطقة خزام إلى منطقة القصيدات قديماً.

وتوصل القافلة إلى القصيدات و«المقيال» فيها، ثم التحرك إلى منطقة بطحة العحلين (وهي عبارة عن أرض منبطحة)، يتم المبيت فيها ويذهب عدد 5 رجال أو أكثر لشراء الجبن المحلي الجبلي من صناعة سكان الجبال من قبيلة لحبوس في البيوت، وبعد المبيت تتحرك القافلة وتواصل مسيرها، فيلحق بها الرجال بعد شراء المطلوب.

وبعد التحرك والوصول إلى «فلي خت»، وتسقى الدواب، ويتم تحميل الماء (القرب والسعن) والتحرك للوصول إلى منطقة حبحب والنزول فيها، والتجهيز للغداء، ويعمل «قرص النار»، وهو خبز من الطحين تجهزه النساء والرجال بمساعدة الأطفال الذين يتعلمون ذلك من أهاليهم.

وإذا مرض أحد أثناء مسير القافلة يتم فحصه من قبل المطبب الشعبي، وقد يستخدم «الكي» إذا ما تطلب الأمر. ويحمل على الدواب، وإذا مات يتم دفنه والصلاة عليه. أثناء المسير يساعد الرجال والنساء والصغار بكل الأعمال.. النساء يحضرن الماء والحطب ويعتنين بالأطفال والصغار، وقد يساعد

الأطفال ويعملون الشيء البسيط، ويتعلمون أعمال الآباء.
بعد ذلك يتم التحرك من منطقة حبحب إلى منطقة «وعب بدر» قبل سيح البانة، وعند الوصول إلى بداية البانة يواجههم تعب شديد، نظراً لطول المشي والمسافة وشدة الحر، وعدم توافر الماء حتى يصلوا «عبقة البانة» وبعدها «حصاة البانة»، وتستمر القافلة إلى «مسجد مطلق» بين منطقة «قرون أذن» وبعدها إلى «طوى أذن»، حيث المبيت هناك. ويتم بيع وشراء المواشي بين أصحاب القافلة وسكان المنطقة، وهم من قبيلة المزاريع. وأصحاب القافلة يكون لديهم حلالهم من الأغنام، وهي أغنام مشهورة محلياً لطيب مأكلها ولرعيها بمناطق جبلية، وهي تتغذى على أعشاب طبية، ويتم بيع الأغنام المعدة، والتسامح مع من ليس لديه دراهم في الفترة نفسها على أن يتم التسديد لاحقاً.
بعد ذلك ومع طلوع الفجر يتم التحرك إلى الغشيبي (جبل قمر)، ويتم بيع الأغنام، ويمرون بالقافلة صوب بدي رقية بمنطقة «جبل قمر»، وبعدها «نيد الورس»، والتحرك إلى أن يصلوا منطقة «الفرع»، ويتم «المقيال» وبيع الحلال.
ويتم التحرك بعد الظهر من هذه لمنطقة بعد التزود بالمياه من الأفلاج، ويقطعون الطريق مروراً بوادي الليات بين منطقة الفرع وأعسمة جنوباً، وعند الوصول إلى أعسمة مروراً بواديها يواصلون إلى «بلدة كريمة»، ويواصلون المشي والمسير إلى «بدي الفاية» بأعسمة، وفيها يبيتون، كما يتم البيع والشراء ويستفيد أصحاب القافلة، ويقومون أيضاً ببيع الخرج من الشعر والنعل المصنوعة محلياً.
بعدها تواصل القافلة التحرك بعد الفجر من أعسمة إلى منطقة «وادي الباحة»، والمقيال للرجال بمنطقة المسافي (قرية المحارزة)، لبيع ما بقي من المواشي، وتواصل القافلة مسيرها إلى منطقة «حجر المسن»، وبعدها يتم التحرك من حجر المسن إلى «منطقة دفتا»، ويتم المسير إلى «ظهرة أبو علي» «المنطوبة»، ويتم المبيت. وعندها هناك قد تفترق القافلة فمنهم من يتجه إلى «حير بني حميد» يبيت بظهره الرمث، ومنهم من يكمل القافلة إلى منطقة البثنة، ويتم «المقيال» فيها، ويبقى من العوائل من يقضي القيظ بالتثنة، ويتم التحرك من البثنة متجهين إلى الفجيرة، وتنقسم القافلة، حيث يتجه بعضهم إلى منطقة «وادي سهم»، ومنها إلى «قرى مدوك والفرفار»، ومن يكمل مسيره إلى منطقة الفجيرة، ومنهم من يصل إلى منطقة كلباء ومنطقة صفد والقرية، وبعد أن تصل القافلة إلى المقايظ بالحضار في مناطق القيظ يحلون بتيسير من الله.

أماكن القيظ:

عند الوصول يبدؤون بترتيب «العرشان» من جديد، وترتيبها للمصياف وقضاء أيام الحضر، مع وجود أسر أخرى من أهالي الفجيرة، حيث يتجاورون في المصياف. والمدة التي يقضونها في المصايف تختلف من منطقة إلى منطقة، فأصحاب الحيور ما

يقارب الشهرين، ووسط الفجيرة بمدة أطول تمتد إلى ثلاثة أشهر.
من الأعمال التي يقوم بها الأهل في الحضر والمصياف العمل بالنخيل، أما المصيفون بالحيور فيعملون على تصليح الأفلاج، وعند الوصول أولاً يقومون بتعديل العرشان من الخوص والزفانة مع عمل لخصافة واليبان واليرب مفرد إيراب، ويوضع فيها التمر بأنواعه عند «موسم الجداد»، وتنقية أنواع التمر مع تقضية الأيام بجمع أنواع الرطب بأنواعها.
وتتم مشاركة الأهالي المناسبات (أعراس/ أحزان)، ولا يتم الزواج بين أهلنا وأهالي المنطقة إلا نادراً، وتقوم هناك عزائم متبادلة بين المصيفين وأصحاب المنطقة، والمساعدة في أعمال النخيل، وتبادل السفرة مثل المالح والجبن الجبلي والبر، ومن قبل أهالي الفجيرة الحنة والدواجن والبراقع والملابس وزيارات قريبة من المصايف لعدم وجود وسائل نقل، وتوجد وسط مزارع النخيل لأهالي الفجيرة أنواع من أشجار اللومي وقصب الذرة والفندال والبصل والبطيخ.
وعندما يقضون هذه المدة لا يرجع أحد إلى منطقة وادي شعم إلا نادراً، وعند اقتراب انتهاء موسم القيظ بانتهاء موسم الرطب ودخول الربعية، يتم عمل لخصافة للتمر بقيام النساء السفافة والرجال «يخيطون» ووضع علامة مميزة لكل يراب أو خصف أو قطعة صوف تدل على أسرة تميز تمرها من تمر بقية الأسر، ويتم تجميع التمر لكل الأسر بمنطقة الخة بالقرب من منطقة الشرية للقوافل القادمة من الحير ووادي سهم على ظهر الإبل بإعدادها تنقل التمر، وبعد التأكد من وصول المحمل المعد والمتفق معه سابقاً لنقل ذلك، ويرسى على البحر شرق النصرة بمنطقة الفجيرة (الفصيل حالياً)، ويقوم أصحاب الدواب من أهالينا بدفع الأجرة لأهل الفجيرة لتوصيل التمر من منطقة الشرية إلى المحمل.
وترتسم الفرحة على وجوه الجميع عند الذهاب إلى المصياف وبالرجوع إلى المنطقة، ويتم الرجوع بأعداد متفرقة ومع المرور بالمناطق السابقة.
وعند الوصول إلى رأس الخيمة يتم المبيت عند «طوى حلوة» بسيح كبدة مع عمل الحناء للنساء والاستعداد والمقيال عند «عود الحنة» بمنطقة غليلة، ويصلون المساء إلى منطقة وادي شعم، ومن المخاطر التي تصدف أهالينا مثل قطاع الطرق، ولا توجد مشكلات أخرى، وعند الوصول إلى منطقة يسكنون الصفيف، وهي مفردة صفة بيوت الصيف والمؤن تدخل بيوت الشتوية لدخول موس الشتاء البارد، وتكون الحياة بسيطة والجميع مرتاح جداً مع تحمل مشقات القوافل والترحال من وادٍ إلى آخر.

بعد انقضاء مدة الوصول التي لا تزيد على أسبوع أو أكثر، يتم الإبلاغ عن وصول التمر إلى بحر شعم، ولا ننسى أن المحمل يتحرك من الفجيرة ليتجه إلى مضيق هرمز ليصل إلى شعم، ويتحرك قبل ترك القوافل من الفجيرة إلى المنطقة، وبالتحديد عند وصول المحمل عند الجامع القديم على بحر شعم عن طريق السماع «البرغوم» بالمحمل، وعندها يتحرك أصحاب الدواب إلى البحر لنقل التمر والسح من المحمل، وأصحاب المركب ينزلون التمر «يصفصفونه» على سيفة البحر إلى أن يصل إلى أصحابه، ويتم فرز التمر على العلامة الموضوعة على اليراب مع دفع إجارة اليراب ثلاث روبيات هندية، وهي العملة المتداولة في تلك الأيام. وكل واحد يدفع عن تمره، ويتم نقل التمر من سيفة البحر إلى مخزن المرحوم عبدالله سيف، رحمه الله، عند البحر ويتم تخزينه إلى ساعة الطلب.
وبعد هذا البحث والترحال عن لقمة العيش الهنية وانقضاء أيام جميلة بين الترحال بالقوافل يتم دخول أيام البرد الشتوية، بالقيام بترتيب البيت الشتوي مع الاستعداد لموسم الأمطار، وذلك لحراثة وهياسة الوعوب الزراعة، والوعوب هي مدرجات زراعية على سفوح الجبال. مع وعي الحلال «الأغنام» وبعدها بفترة زمنية يقوم الأهالي بموسم جزر البر ودقة وتخزينه للحصول على غذاء من زراعة أيدهم ومساندة بعضهم بعضاً. وكان التكاتف والمحبة من الناس هما موسم المعد وبعدها الاستعداد للمرة والمرات لموسم قافلة الحضار، وهكذا تمضي الحياة والمواسم والترحال بعزيمة وإصرار.

التلي وتوهج الأناقة

خالد إبراهيم أبو نعيمة
كاتب صحفي ـ مصر

إنها إحدى جماليات الفن الأصيل في متعة الحياة بين خيوط تفردت في صُنعها روح، وتباهت بها عيون السعداء والحيارى.. إنها الأيادي الموصولة بعقول لا تتوقف عن استنباط الجمال، وما يليق بالفخامة من أجل الإنسان، حين تعزف أناملها على الخيط، كي يُظِهر جودته وقوته فيجذب العيون طوعاً وكرهاً أن تمنحه التقدير اللائق في مداعبة بين الأصالة والنور والألوان، إنه التوهج الذي يصنع الأناقة، إنها المرأة الإماراتية.

حتى وقتنا الحاضر امتازت المرأة الإماراتية بأنها مصدر للإنتاج والابتكار لما تتطلبه الحياة من لوازم وضروريات للأسرة من طعام وشراب وملبس، ويعود الفضل لها في كثير من النشاطات المنزلية وصناعة العديد من المشغولات اليدوية التي تأثرت في وقتنا الحالي بوسائل التكنولوجيا من الآلات الحديثة.

من أقدم الصناعات المهمة والمتوارثة من الماضي في دولة الإمارات تأتي صناعة «التلي»، التي هي جزء له أهمية كبيرة في التراث والموروث الحقيقي للمجتمع الإماراتي، والذي توارثته الأجيال جيلاً بعد جيل، واشتهرت النساء بالدقة والمهارة في صناعتهِ وحياكته، أو ما كان يعرف بخدمة «التلي»، وذلك لاستغلال وقت الفراغ إلى حين عودة الرجال من رحلات الغوص والتجارة التي تستغرق المدة الزمنية نفسها لعمل «التلي»، وهي ما بين شهرين وستة أشهر، ويدل هذا على أن عملية صنع «التلي» شبه معقدة، والأدوات ليست كثيرة، وتجهيز «الكاجوجة» و«الدحاري» و«البكرة» التي عليها لفائف الخيوط المستخدمة في «التلي»، ويتم صفها حسب نوع البادلة أو «التلي» المراد صنعه، واضافة الإبر لتثبيت «التلي».

غالباً ما يتميز المنتج اليدوي الصنع بخصائص تفتقر إليها الآلات الحديثة، منها جودة المنتج ودقته والاحترافية التي تتميز بها الصانعة اليدوية عبر سنوات من الخبرة، وتأتي صناعة «التلي» في مقدمة المشغولات اليدوية التي تميزت بها المرأة الإماراتية حتى وقت قريب.

يعد «التلي» من أهم الأعمال النسوية، إذ إنها لا تخلو من الملابس النسائية، وتعد من الزينة الإماراتية، وتتم صناعتها بوساطة ست بكرات من الخيوط المعروفة بـ«الهدوب»، الملونة حسب الرغبة، وتجمع أطرافها بعقدة مشتركة تثبت بإبرة صغيرة على المخدة المعروفة قديماً باسم «الكاجوجة»، وهي وسادة مستندة على قاعدة معدنية على شكل قمعين ملتصقين من الرأس، التي يثبت عليها طرف البكرة من خوص «التلي».

تحتاج صناعة «التلي» إلى عمليات حسابية معقدة، لا يتقنها إلا من حاز سنوات من الخبرة وامتهن الصناعة.

«التلي» عبارة عن شريط مطرز منسوج من خيوط قطنية ممزوجة مع الشرائط الذهبية أو الفضية، تمتاز باللمعان، ومختلفة بحسب حجم الخيط ونوع الزخرفة، منها «بتول أبو فاتلة واحدة»، ويستخدم غالباً في تزيين الأكمام، وياقات الأثواب والسراويل النسائية.

«التلي» أو «البادلة» تختلف في تكوينها حسب أحجامها، إذ إن كل جزء من «البادلة» له اسم خاص، و«البادلة» الصغيرة يتم تركيبها في أسفل السراويل الصغيرة، و«البادلة» الكبيرة للسراويل الكبيرة.

هناك أنواع وأشكال مختلفة تناقلتها الأجيال لصناعة «التلي»، منها «تلي بو فص» و«تلي التعاون»، ويتم عمله بالطريقة التقليدية نفسها، على أن يكون في تشكيلة كل مترين من «التلي» لون واحد من ألوان الخوص، وتوحيد اللون على الجانبين لكل الأمتار، ومنها التقليدي، وهو تجديلة الخيوط القطنية التي تضم ست بكرات على الجانبين، يتوسطهما خيط الخوص الفضي، وقد تكون الخيوط القطنية بألوان مختلفة، منها الأبيض والأحمر والأسود، وأيضا «تلي الزري»، وهو تجديلة خيوط الزري على الجانبين، يتوسطهما خيط خوص يتناسب لونه مع خيوط الزري ولون القطعة المفروض تركيب «التلي» عليها، أيضاً «تلي البريسم»، حيث تجديلة خيوط البريسم على الجانبين يتوسطها خيط متناسب مع بقية الألوان، ومن أهم الأشكال التي تلقى رواجاً ومطلوبة من النساء يأتي «تلي الشطرنج» و«تلي بو جنب».

مع تنوع الأسواق تنوعت ألوان الخوص، وعادة ما يكون عرض خيط الخوص سنتيمتراً واحداً، أما خيوط الزري، وهي فضية أو ذهبية، فتكون بعرض الخيوط العادية، فيما تختلف خيوط البريسم من ناحية السماكة، وكونها حريرية وأكثر لمعاناً وبريقاً.

تبرز مهارة اليد الصانعة بدقة عملية الحياكة، حيث يتم إنجاز شريط من «التلي» الذي يتجاوز طوله العشرة أمتار في مدة لا تتجاوز 02 يوماً، وحالياً القيمة السوقية لسعر «التلي» زادات كثيراً على السابق، وهي تختلف بحجم المقاس المستخدم، ويعتمد اختلاف «البادلة» المحاكة على كميات الخيوط المستخدمة، فعلى سبيل المثال «البتول» تستخدم لصنعها ست بكرات أو (دحاري)، بالإضافة إلى بكرة واحدة من الخوص، أما «دحروري» واحد من الخوص، أو البادلة الصغيرة، فيتطلب صنعه ثماني بكرات من الخيوط، وبكرتين من الخوص، فيما تستخدم أربع عشرة بكرة من الخيوط، وأربع إلى خمس بكرات من الخوص لصنع البادلة الكبيرة.

مجالسه كانت مدرسة ثقافية للأجيال
علي بن رحمة الشامسي..
توثيق روح القيم التراثية شعراً

الحفاظ على روح القيم التراثية الإماراتية، وبثّ مقومات تلك الروح في وجدان أبناء الوطن، هما المهمة التي حملها الشاعر الراوية علي بن رحمة الشامسي، هذا ما يشهد له تاريخه الحافل في رواية الشعر وقرضه وتلقينه للأجيال، ورعايته الشعراء الموهوبين، وكذلك البرامج الإعلامية المتعلقة بالتراث التي انخرط فيها مبكراً، مع نشأة الدولة، وخصصها لحياة المجتمع قديماً ينقلها بتفاصيلها وحكاياتها، وإبداعاتها الشعرية والفنية والفولكلورية، لكي تظل روحها حاضرة تسهم في بناء المواطن، وتوسيع وعيه ومداركه بهويته الحضارية التي لا غنى له عنها.

ولد علي بن رحمة الشامسي في منطقة الحمرية، التابعة لإمارة الشارقة في عام 1930م، قرأ في صباه القرآن، وتعلم الكتابة والقراءة، وأظهر ميلاً مبكراً إلى الشعر والأدب، فقد شدت انتباهه المجالس التي الأدبية التي كانت منتشرة في الأحياء في تلك الفترة، وكان يغشاها الشعراء المتمكنون، وتروى فيها قصص الماضي، ويتعلّم فيها الصغار من الكبار تراث الماضي، فأصبح الشامسي يغشى تلك المجالس، وهو لا يزال مراهقاً، ما جعله يصبح راوية للشعر، وهناك تفتقت موهبته الإبداعية، فبدأ قرضه وهو في الخامسة عشرة، وقد تأثر بالشاعرين عبيد بن زعيل وخليفة بن جمعة المعروف بالخليفي، وكانت تلك الفترة حاسمة في تكوين حصيلته اللغوية التقليدية، وتزويده بقيم ومعارف المجتمع التقليدية، ما جعله خبيراً بتراث

محمد محمد سالم
كاتب صحفي ـ موريتانيا

وطنه، وأهّله لاحقاً ليعكس خبرته من خلال إنتاجه الأدبي ونشاطه الثقافي الذي امتد عقوداً.

في سن السابعة عشرة انخرط الشامسي في العمل في البحر رفقة والده الذي كان يعمل فيه، وبعد الأزمة التي أصابت سوق اللؤلؤ في الخمسينيات، وانحسر

على إثرها العمل فيه، عمل الشامسي في سلك الحرس، وفي الستينيات عمل مراسلاً في إذاعة صوت الساحل، ثم عمل في إذاعة الشارقة، وقدم برنامج «في أحضان البادية»، كما شارك بإلقاء القصائد في برنامج «فنون شعبية»، وشارك أيضاً في تأسيس برنامج مجلس الشعراء في تلفزيون دبي في أواخر الستينيات مع المغفور له حمد خليفة بوشهاب، وكان المجلس يضم يومها عدداً كبيراً من رواد الشعر الشعبي في الإمارات، كالخضر والجمري وابن سويقات وابن زنيد وابن ياقوت والكوس وغيرهم. وشهد برنامج مجالس الشعراء بعض التغيرات نتيجة لرحيل بعض رواد الشعر، وابتعاد بعضهم، ورغم ذلك ظل بن رحمة في عطائه ومشاركاته في البرنامج إلى أن توقف في أواخر التسعينيات، بعدها شارك في إعداد وتقديم العديد من البرامج الإذاعية الشعبية المهتمة بالشعر والتراث الشعبي.

يروي الباحث الدكتور عبدالعزيز المسلّم، أن الشامسي كان من أوائل الذين أثروا فيه، عندما بدأ خوض تجربة البحث في التراث الشعبي الإماراتي، وحببوا إليه ذلك التراث، وزودوه بمرويات شعرية وحكائية وافية عنه، فقد وجد فيه مبدعاً فذاً، وخلقاً كريماً، وتواضعاً جمّاً، يجعله قريباً من محاوريه، وقد كانت حصيلة متابعة المسلّم لهذا الكنز الأدبي الكبير، كتابه الذي ألّفه عنه بعنوان «تذكار: مختارات من شعر علي بن رحمة الشامسي»، يقول عنه المسلّم في فصل بعنوان «علي بن رحمة الشامسي، شاعر الأمكنة»: «المكان عند الشامسي هو الأكثر حضوراً في نصه الشعري، وبشكل لافت جذاب»، ولا غرو أن يهتم شاعر مثله حريص على تراث وطنه بالمكان، لأن المكان هو حاضن أحداث التراث، والشاهد على تاريخ أهله، فهو الجزء الماثل للعيان من ذلك التراث، بعد أن يذهب أصحابه، وقد أراد الشاعر أن يخلده بإحالاته الثقافية والاجتماعية، لكي يبقى في الذاكرة، ويتغلغل في وجدان الأجيال، ويظهر ذلك الحرص على الماضي وثقافته من خلال أول برنامج قدمه الشامسي في إذاعة الشارقة في الستينيات، وكان بعنوان «في أحضان البادية»، ففي ذلك الزمن الذي لم تكن فيه البادية قد ابتعدت معنوياً ومادياً عن المدينة الناشئة، التي لا تزال تتأثر بماضيها، كان الشامسي حريصاً على أن يبرز روح تلك الحياة البريئة التي عاشها المجتمع في البادية، وعاش خلالها قيم الترابط والتراحم والكرم والإيثار والنجدة، وهي القيم التي كان ابن رحمة الشامسي يسعى إلى أن تظل باقية في الأجيال اللاحقة، وقد آلمه أن يراها تتلاشى شيئاً فشيئاً، وأن يرى روح ذلك العالم تضيع في مهب الريح، وعكس شعره ذلك الحنين والحسرة، كما في قصيدته المشهورة «أحب البر»:

أحب البر واشد الرحايل
وادور قلب ضايع في البوادي
واشيد خيمتي والدمع سايل
وانوح بصوت وازقر بلحودي
وحمس البن ما بين المقايل
غريم الشوق والورقا تنادي
وسلي خاطري بحلا المثايل
من الليعات واصفق بالايادي
ونا فديار ذربين الفعايل
سناد الضيف واللي بهم سدادي
لكن الحب خذني بالدغايل
وخلاني معذب في ودادي
زرعت الحب في أرضٍ محايل
وقمت أسقيه من لولب فوادي
وشفت الأرض ما فيها صمايل
هشيم وزرعها مثل الرمادي

كان شعر الشامسي صورة عن تلك الحياة التي آمن بها، وقد أبدع صياغة المفردة والصورة الشعرية التي تعبر عن وجدانه، وتحمل تراث وطنه، وقد لقي شعره قبولاً لدى القرّاء، وغناه المغنون، وأثر في مجتمعه بشكل كبير، وقد ترك ديوانين، كان أولهما بعنوان «ديوان الشاعر علي بن رحمة الشامسي»، والثاني بعنوان «غناتي».

الوجه الآخر من أوجه اهتمام الشامسي بنقل ثقافة المجتمع وتراثه الأدبي إلى الأجيال يبرز لدى الشامسي في حرصه على تلقين الشعراء الجدد أشعار السابقين، وتدريبهم على محاكاتها، فكان يقدم لهم النصائح، ويشجعهم، ويفسح لهم المجال في البرامج الشعرية والتراثية التي يشرف عليها، وقد حداه ذلك إلى عقد مجلس شعري دوري في منزله في الشارقة، سمّاه «مجالس الربيع»، وكان يستدعي له الشعراء من كل الأجيال، لكي يقيم بينهم تواصلاً، وحواراً يتعلّم فيه الصغير من الكبير، واللاحق من السابق حتى تترسخ مسيرة الشعر، ويتواتر عطاء الإبداع، يقول عبدالعزيز المسلّم عن ذلك المجلس: «كان الشاعر علي الشامسي، رحمه الله، راعياً وحاضناً للشباب، ومن أكبر المشجعين لهم، يساعدهم على تنمية مواهبهم، ويستمع باهتمام إلى تجاربهم، حيث أنشأ مجلساً للشعر في منزله، سمّاه «مجالس الربيع»، والذي تجتمع فيه الأجيال الشعرية، كما ظل مستمراً في عطائه ومشاركاته في برامج الشعر، وشارك أيضاً في إعداد وتقديم العديد من البرامج الإذاعية الشعبية التي تدور حول الشعر والتراث».

المقاهي البغدادية
حضور المكان والذاكرة

خضير الزيدي
كاتب - العراق

لا تذكر مدينة بغداد القديمة إلا وتذكر فيها المحال العريقة وأسواقها العتيقة، وما أن يأخذك الحديث عن الأسواق وبضاعتها، وتكوين نشأتها وطرازها المعماري، حتى تتوقف في استراحة تأمل في مكان محصور بين زوايا الأسواق أو منتصف الشارع.. ذلك المكان الجامع لجلوس الآخرين، ممن يتأملونك وينظرون إليك يسمى المقهى.. وهو ليس مكاناً للتسلية مثلما يعتقد البعض أو يظن أنه مكان للهو، بل هو موضع يدعوك لتعيد فيه أنفاسك وتستوعب حوادث يومك الطويل.

تاريخ المقهى

بغداد المطلة بيوتها على نهر يفيض محبة وبهجة، تضرب الشمس الساطعة أناسها الطيبين، تلهبهم أشعة الشمس، فما الحل لمعالجة هيجان الحر الشديد. بالتأكيد ثمة فسحة من ظل وشجرة صفصاف عند بعض الأسواق. هذا الانزواء المؤقت لم يكن ابتكاراً مدهشاً، كان نوعاً من الحل، فقد عرفت بغداد أول مقهى لها في عام 1590، وسمي يومذاك قهوة «جغالة زادة»، ويعتقد الباحث يعقوب سركيس أن المكان المرشح لهذا المقهى هو خان الكمرك، الذي ذكره فيلكس جونس إبان القرن التاسع عشر، وفي إشارة دقيقة ووصف غريب للرحالة الغربيين يشغلك وصفهم للأطفال الذين يقدمون القهوة، والذين يقبضون الدراهم، يومها كانوا يتميزون بأحلى زينة، مما يدل على نظافة تلك المقاهي، وهذا ما يشير إليه الرحالة تكسيرا، وهو يضعنا عند الوصف

الدقيق لأحد مقاهي بغداد في بدايات القرن السادس عشر، وخاصة مقهى حسن باشا، الذي يقع بالجوار من جامع الوزير. كُتب لهذا المكان الجميل أن يكون جزءاً فاعلاً من تكوين الحياة الاجتماعية، والتي تتميز بالبساطة والعفوية، وكان الغالب على محبيها أن يمروا عليها في أوقات الصيف، لغياب مستلزمات التدفئة الشتائية.. في بدايات القرن العشرين طرأت بعض المتغيرات على من يرتاد المقاهي، بعد أن توسعت دوائر حاجتها أو المنافسة على تشييدها، فانشطرت إلى قسمين، مقاهٍ تحاول الاحتفاظ بتقاليدها وقيم أعرافها من حيث الأجواء، وأخرى وفّرت للشباب فسحة من الدخول إليها، وهنا بدأ الشيء غير المستحب، إذ مارس البعض ممن يرتادها لعب القمار في بعض مقاهي بغداد، ومن بين المقاهي التي عرفت بهذا الطابع الغريب من هذه التصرفات مقهى موكي وميخا، ومقهى البيروتي، الذي شيد من الخشب، والواقع في جانب الكرخ من محال بغداد القديمة، وهو المقهى الذي تميز برواده البغداديين، أمثال ملا عبود الكرخي، وعبدالمجيد مكية، فكيف لذاكرة الأيام السالفة أن تحدثنا عن تلك الجلسات، وعن أرائك مقاهي بغداد القديمة؟! إنه السؤال المملوء بالقلق!

حدث طارئ وحلّ

في عام ألف وتسعمئة وستة وعشرين، وبالتحديد في منتصف شهر آذار، نظم الشاعر ملا عبود الكرخي، واحدة من قصائده الجميلة، التي يدعو فيها أمين العاصمة نشأت السنوي، إلى أن يمنح كل الذين يديرون المقاهي في بغداد إجازة توفر لهم أن يفتحوا مقاهيهم في شهر رمضان الكريم، وكان لتلك القصيدة الأثر البالغ في نفوس العراقيين، والتأثير الواضح من خلال استجابة أمين بغداد لطلبه، ومن بين الأبيات التي يحتفظ بها التاريخ الشفاهي لأغلب رجالات بغداد، هذا المقطع من قصيدة الكرخي:

باعتقادي ماكو موجب للمنع .... ولا للشدة وقسوة الردع
ليش تفتح باب وتزيد الصدع .... عجل بمنح الإجازة يامين
أيها القانوني والنور المبين..

وبعد أن وصل التطور العلمي لتوفير جهاز الراديو، حمّلت بعض المقاهي هذا الجهاز على قطعة من الخشب، ليخلق الغرابة بين أجواء الريفيين ممن تطأ أقدامهم بغداد لأول مرة، فيكون الاستغراب من الصوت، وليس من طاولات الدومنة أو الفوانيس التي تضيء جوانب معينة من المقهى بعد غروب شمس بغداد، وهي تسحب آخر خيط تبلله مياه دجلة.

مقهى عزاوي والحنين إليه

تحتفظ ذاكرة العراقيين بهذا المقهى الواقع في سوق الهرج؛ ذلك لأن الأغنية التي ردّدها الغالبية من ذلك الجيل، كانت تلهج بالمقهى (يا كهوتك عزاوي)، شيّدها المرحوم حميد القيسي، أما عزاوي فيذهب الباحثون المختصون بالشأن التراثي إلى أن الذي يعمل ويديرها شاب من أهالي واسط اسمه عزاوي، وكان ممن يرتادها المطرب العريق قارئ المقام نجم الشيخلي وأحمد زيدان، وهذا يدل على أن مقهى عزاوي كانت تقام فيها الأماسي الرمضانية مع قراءة المقام، ولم يكتفِ جانب الرصافة من بغداد بهذا المقهى فحسب، بل هناك أكثر من تسعين مكاناً آخر لمقاهي الرصافة، مثل مقهى المربعة وكريم شبو والقيصرية والفرات وعلوان العشية ومقهى عبود والتبانة والزهاوي وحسن عجمي، التي عرفها الأدباء مكاناً يؤويهم بعد رحلة شارع المتنبي. تفاصيل ذلك المكان تجتذبك بطريقة خاطفة؛ لأنه أكثر رقة من الخرائط، ذلك التداخل في أجوائها يدعوك لتأمل القدرة الوصفية، والتعبير عن الرمز في بواباتها ومداخلها، وطريقة استجابة النادل لطلباتك، كأنه مكمل لأبدية لم تبدأ إلا من هناك: ربما لأن حجراً كبيراً من «الديو رايت» دوّن عليه أن ما تنقشه الذاكرة لن يحيط المكان بما لا تحمله حواسك أو تحتفظ به.. تلك المقاهي البعيدة رؤيتها عنا في هذا الوقت، سجلها التاريخ خطوة نائية، وملاذاً يخفت ضوؤه الآن، نتيجة دمار الحروب، وويلات الإرهاب.

العلاج بالحكاية

كـثرت في العـصر الحديـث المشـكلات النّفسـيّة، نتيجـة عوامـل كثـيرة أثّـرت في الفـرد، ومـن الطبيعـي أن يلجـأ أصحـاب هـذه الأزمـات إلى معالجـين وأطبّـاء نفسـيّين، بحثـاً عـن حلـول تسـاعدهم على تجاوز آلامهم اللا جسديّة، أو «اللّا ماديّـة»، إذا صحّ التّعبـير. مـن المعـروف أنّ الأسـاس في العـلاج النّفسـيّ هـو إخـراج الصّراعـات الدّاخليّـة في شـكل تداعيـات، تشـكّل في النّهايـة حكايـة عامّـة لـلألم. هـذه الحكايـة هـي الأسـاس الّـذي يعتمـد عليـه المعالـج النّفسـي في إيجـاد الحلـول، فـإن عجـز عـن ذلـك، فإنّـه يحـوّل صاحـب الحكايـة إلى الطّـبّ النّفسـي. وفي هـذه الحـال فـإنّ العـلاج يعتمـد عـلى تنـاول العقاقـير، كـما في أيّ مـرض جسـديّ.

د. نمر سلمون
مدرس أكاديمي
معهد الشارقة للتراث

في مجتمعنا العربيّ خاصّة، هناك مفهوم خاطئ عمّن يلجؤون إلى العلاج النّفسيّ بأنّهم «فقدوا قدراتهم العقليّة». وفي هذا خلط كبير بين الاضطراب العقليّ والاضطراب النّفسيّ، الّذي قد ينعكس جسديّاً في حالات متطوّرة.

انطلاقاً من فكرة «خجلنا» من الذّهاب إلى المعالج النّفسيّ، حتّى لا نوسم خطأً بالجنون، وبما أنّ المعالج يعتمد على حكايتنا لكي يداوينا، فقد انبثقت فكرة العلاج بالحكاية، وليس المقصود بالحكاية هنا الحكاية الشّخصيّة فقط، بل البناء أيضاً على حكايات جاهزة، كالحكايات الشّعبيّة أو المؤلّفة أو سوى ذلك.

هذا النّوع من العلاج يوفّر لصاحب الألم جانباً إبداعيّاً بالتّعامل مع عذاباته، وذلك في أن يحوّلها إلى حكاية جذّابة مجهولة المؤلّف رغم معرفته، أو أن يسقطها على حكايات معروفة تساعده على التّعبير عن معاناته دون خجل؛ لأنّ هذه الطّريقة تتيح له الاختباء وراء شخصيّات وهميّة لنقل معاناة حقيقيّة، فإذا نجح «المتألّم الإبداعيّ» في تناول عذاباته كحكاية مرويّة، وتجرّأ على روايتها في المسرح، أو في حلقة، أمام جمهور؛ فإنّه سيحصل على تفاعل هذا الجمهور عاطفيّاً، وهذا شيء لا يستطيع المعالج النّفسيّ أن يوفّره له؛ لأنّ بروتوكوله الطبيّ يحرّم عليه أن يعبّر عن تعاطفه مع مرضاه. ومن هنا جاءت فكرة «الحكواتي المعالج»، أو «العلاج الحكائيّ» cuentología.

- ما العلاج الحكائيّ؟

هو تحميل الألم الشّخصيّ الحقيقيّ لشخصيّة وهميّة أو أسطوريّة يخترعها الشّخص المعذّب نفسه، هذا الشّخص المتألّم، أو المريض، يطلقون عليه، في الغرب، في علم النّفس، والطّبّ بشكل عام مصطلح «الصّبور»، أمّا نحن فنسمّيه «بطل حكاية متطوّع». في الطّرف الآخر من عمليّة الحوار العلاجيّ هناك «الحكواتي، شريك الألم»، كما نستطيع أن نسمّيه أيضاً بـ«مرمّم أفكار وأحاسيس». مهمّته تتركّز في إنقاذ الحكاية الشّخصيّة المؤلمة من تحت أنقاض «البطل المتطوّع»، وذلك من خلال الذّاكرة، الذّكرى، والأفكار المشتّتة هنا وهناك بين الأحداث المؤذية الّتي مرّت في حياته. الأداة الوحيدة المستخدمة في عمليّة الإنقاذ هي الحكاية بجميع أوجهها، أشكالها وأساليبها: الأسطوريّة، الشّعبيّة، الشّفهيّة، الأدبيّة، إلخ... وفي النّهاية يتمّ عرض النّتيجة أمام بصر وبصيرة «البطل المتطوّع»، وتكليفه صياغة حكايته الشّخصيّة من خلال التّفاصيل الّتي تمّ استرجاعها وإنقاذها.

- أهداف مشروع العلاج النّفسيّ:

- تقديم دعم نفسيّ إبداعيّ للمأزومين نفسيّاً ليتجاوزوا معاناتهم.
- اكتشاف القدرة الحكائيّة الإبداعيّة على علاج الذّات.
- استخدام الحكاية كأداة علاجيّة، أو على الأقلّ كأداة للبوح بالألم الإبداعيّ.

- محتوى المشروع:

- التّقديم للعلاج الحكائي الإبداعي الجديد.
- تحليل عميق للمعاناة من خلال شخصيّة مستعارة وهميّة.
- رؤية الألم الشّخصيّ عن بُعد، فصله عن الذّات، وتحليله ضمن فضاء إبداعيّ.
- القيام بتمارين وتجارب تتّخذ من الحكاية محوراً للبوح والعلاج.

بقي أن نذكر أنّ العلاج بالحكاية ليس حكراً على فئة عمريّة محدّدة، بل يشمل الجميع، بحيث إنّ لكلّ مستوى من الوعي مستوى مقابل من التّدريب الحكائيّ، تفكيكه وإعادة تركيبه من جديد. وهذا المقال تمهيد لسلسلة من المقالات الأخرى الّتي سنعرض فيها مبادئ وتطبيقات أوّليّة للعلاج بالحكاية.

المنسف الأردني:
من الحاجة إلى التفاخر بالأكلة اللذيذة

د. حكمت النوايسة

ناقد، وباحث في التراث غير المادي - الأردن

إن أردت الإشارة إلى أهمّ وجبة في الأردن، فإن الإشارة أول ما تذهب إلى هذه الأكلة الشهيرة اللذيذة المسمّاة بالمنسف، فهي أكثر من مجرّد وجبة عابرة، إنّها الآن عبارة عن تكريم للضيف، وتعبير عن مكانته، ومكانة المضيف أيضاً، فضلاً عن كونها، بما دخل عليها من تطوير، سيدة الوجبات في المطبخ الأردني.

لقد تناول غير باحث هذه الوجبة بالبحث، والتوصيف، والتأريخ، وربّما اختلفوا في ذلك، فمنهم من يعيدها إلى الملك ميشع، الذي أمر شعبه بطهي اللحم باللبن، مخالفة لليهود الذين يحرّمون طهي اللحم باللبن، أو طهي الخروف بلبن أمّه، وبعد أن طبخ الأردنيون في مملكة ميشع اللحم باللبن، موافقين ما طلبه ملكهم، أعلن نسفه لكل العهود التي كانت مع اليهود وغدروا بها، ومن هنا كان الاسم: المنسف، أي أنه نسف العهود مع اليهود، ثم هاجم ميشع اليهود، وانتصر عليهم، وهذه تشبه الخرافة، إذ لا تستند إلى وقائع تاريخية تثبتها.

ممّ يتكوّن المنسف

في الأصل يتكوّن المنسف/ طبخة المنسف، من اللحم مطبوخاً باللبن، وبعض الملح، وعندما ينضج اللحم يسكب على «السدر»، وهو الوعاء الذي يقدّم فيه، بعد أن يكون السدر مملوءاً إما بالجريش، وإما بخبز الشراك، وهو الخبز الذي يخبز على النار، من خلال رقّ العجين حتى يصبح كالورقة، وإلقائه على «الصاج»، كما في الصورة المرفقة رقم 1، والصاج هو في الأغلب من الحديد، وعندما ينضج «الشراك» يفتت ويوضع في السدر، أو يبقى كما هو ويوضع في السدر، فيلقى عليه اللحم المطبوخ، ثمّ يشرّب باللبن حسب الحاجة، وهناك من كان يستخدم «الجريش»، وهو القمح المجروش، كما في الصورة المرفقة رقم2، ويسمى في بعض المناطق «العيش»، حيث يطبخ كما يطبخ الرّز، ويوضع في السدر لكي يوضع اللحم عليه. ولم يستخدم الرز في المنسف إلا منذ عقود قريبة، خاصّة أنّ المناطق التي اشتهر بها المنسف لم تكن منتجة للرز، والنظر في الطعام الشعبي يرينا أنّ هذا الطعام وليد البيئة، فالبيئة البحرية تشتهر بالأكلات البحرية، والبيئة الجبلية تشتهر بالأكلات الجبلية، وللتدليل على هذا ننظر إلى الطعام في بلاد الشام؛ ذلك أننا سنجد أنّه منوّع، ويعتمد كثيراً على تنوع الخضار، فالمنطقة منتجة للخضار: البندورة، والبطاطا، والخيار، والباميا، والفول، والحمص، والعدس، والقمح، والبقدونس، والفقوس، كما أنّها منتجة للزيتون والزيت، من

ثمّ، حتى إنّ الفاكهة في هذه المناطق منها ما هو خضري كالبطيخ والشمام والفراولة، ومنها ما هو شجري كالتفاح، والتين، والتوت، والعنب، والرمان.

إذن، لم يكن المنسف مكوّناً إلا من اللحم واللبن والشراك والجريش، وهي مواد متوافرة في البيت البدوي على مدار العام، فاللبن إما أن يكون حاضراً سائلاً، وإما أن يكون مجفّفاً من موسم اللبن، تحسباً للموسم الذي ليس فيه لبن، وعندما لا يجد البدوي اللبن، فإنه لا يتوانى عن طبخ اللحم بالماء فقط، وقد رأى الباحث بعينه لحماً مطبوخاً بالماء فقط؛ ذلك أنني زرت ومجموعة من أصدقائي (فريقاً)(1) بدوياً لمشاركتهم الاحتفال بعرسهم، وكان الوقت ليلاً، فقدموا لنا ما لديهم من طعام، وهو اللحم المطبوخ بالماء، مقدّماً على طبقات الشراك.

وأمّا عمليّة تجفيف اللبن، فإنها تأتي ضمن المراحل الآتية:

- يتم جمع الحليب في السقاء، أو السعن(2) حتى يروب.
- يخضّ الحليب الرائب خضّاً متوالياً حتى تنفصل الزبدة عن اللبن.
- توضع الزبدة في (المزبد)، وهو وعاء حفظها، ويوضع اللبن في السعن.
- وبعد عملية الفصل تتم عملية غلي اللبن حتى ينفصل اللبن عن المصل (ماء اللبن).
- يوضع الخليط في كيس قماش لتتمّ عملية تصفية اللبن من المصل، ويصبح اللبن عجيناً/ لبنة.

- يتـمّ تعجينـه مـع الملـح، ثـمّ يشـكّل عـلى كـرات صغـيرة، وتوضع الكرات في الشمس إلى أن تجفّ قليلاً، ثم تخزّن في أماكـن مناسـبة.
- الـسر في نجـاح التجفيـف هـو الخلـط بالملـح، واسـتمرار الطبطبـة عـلى الكـرة حتـى يخـرج الأكسـجين منهـا تمامـاً، فتصبح متماسكة مـما يمنـع التعفّـن، ثـم يتكوّن الملح عـلى السـطح بعـد قليـل مـن التجفيـف في الشـمس، فيكـون طبقـة واقيـة أيضـاً(3).

الطبخ

هنـاك عمليتـان لطهـي المنسـف، أو اللـبن باللحـم؛ فإمـا أن يكـون الطهـي باللـبن السـائل مبـاشرة، وإمـا أن يكـون باللـبن المجفـف، وأمـا الطهـي باللـبن السـائل، فيتـم بطهـي اللحـم بالمـاء، ثـمّ تسـخين اللـبن ليضاف إلى الماء مـع اللحـم إلى أن ينضج، ويجـب أن ترافـق ذلـك عمليـة تحريـك مسـتمرة، لكيـلا ينفصـل اللـبن عـن مائـه، فيصبـح «متحـزّراً» أي ينفصـل اللـبن عـن المصـل، فـلا يكـون سـائلاً متماسـكاً، وإنمـا تظهـر حبيبـات لـبن غـير منسـجمة مـع المزيـج.

وأمـا عمليـة الطهـي باللـبن المجفـف، فإنهـا تتـم بـ«مـرس» اللـبن المجفـف، أي تكسـيره إلى قطـع صغـيرة، ثـمّ تذويـب هـذه القطـع بالمـاء بالفـرك المتواصـل باليـد حتـى تصبـح سـائلاً، والآن أصبحـوا يسـتخدمون الخـلّاط الكهربـائي في العمليـة.

بعـد ذلـك يسـخن السـائل عـلى النـار، ثـمّ يضـاف إلى اللحـم والمـاء، ويحـرّك حتـى يصبـح مزيجـاً متجانسـاً، وينتظر قليـلاً إلى أن ينضج، ثـم ينـزل عـن النـار، ليسـكب عـلى الـشراك أو الجريـش، وفـق مـا تـمّ شرحـه سـابقاً.

وقـد صـار الـرز بديـلاً للجريـش في العقـود الأخـيرة، ذلـك أن الـرز لم يكـن معروفـاً في بيئـات المنسـف، إلا أنّ الـشراك مـا زال يسـتخدم حتـى مـع الـرز، وفي مناطـق يوضـع الـشراك ثـم يضـع الـرز فوقـه، وفي أخـرى يوضـع الـشراك بجانـب السـدر، لـكي يتـم الأكل بـه بقطـع الـشراك قطـع مناسـبة بحجـم اللقمـة، وبهـا تلف اللقمـة مـن الـرز المـشرب باللـبن، أو قطعـة اللحـم لتذهـب إلى الفـم؛ والسـبب أن التقاليـد تراعـي أن لا يـؤكل المنسـف بالملعقـة، وإنمـا باليـد، وهـو تقليـد راسـخ، حيـث يقـوم الآكل بمـد يـده اليمنـى إلى السـدر، ويقتطـع مـا يملؤهـا، ويكـوّره عـلى شـكل لقمـة تناسـب الفـم، ويرفعهـا إلى فمـه.

شـكل المنسـف الآن: يوضـع الـشراك، ثـم الـرز، ثـم اللحـم فوقـه، ثـمّ يزيّـن بالصنوبـر واللـوز المقليّـان بالسـمن البلـدي، وينـثر عليـه البقدونـس المقطّـع قطعـاً صغـيرة جـدّاً، فيصبـح شـكله أكـثر جـمالاً.

عادات المنسف، ومصادرها:

- الأكل باليـد: مـن المتعـارف عليـه في أكل المنسـف أنّـه يجـب الأكل باليـد، وأمّـا مصـدر العـادة، فهـو أنّ البـدوي الـذي اخـترع المنسـف لم يعـرف الملاعـق، ولم تكـن مـن ملحقـات بيتـه، أو أدواتـه، فهـو يـأكل طعامـه بيـده، إذ لا أواني إلا القـدر والسـدر، وسـيراً عـلى ذلـك أصبحـت عـادة.
- المـوالاة: وهـي أن يـأكل الجالـس عـلى المائـدة مـما يليـه، وألّا يمـدّ يـده إلى مـا أمـام مجالسـه، وهـذه مـن العـادات الحقيقيـة النابعـة مـن الاحـترام، والتقديـر، والتعبـير عـن غنـى النفـس وارتقائهـا، فالـذي يمـدّ يـده إلى مـا أمـام مُجالسـه لا يؤتمـن.
- حـرف الجانـب الأيـسر: وهـذه العـادة آتيـة مـن أنّ مـن يجلسـون عـلى المائـدة المكوّنـة مـن سـدر واحـد، قـد يكونـون كثيريـن، مـما يعني إفسـاح المجـال للجميـع، وبالتـالي ضرورة أن يكـون كلّ واحـد عـلى حـرف، فيكـون حرفـه اليمـين إلى داخـل الحلقـة، وحرفـه الشـمال خارجـه، ليفسـح المجـال لجـاره.
- الوقـوف: وهـو ليـس شرطـاً، إلا إذا توافـرت الطاولـة المناسـبة، وفي بعـض الأماكـن يأكلـون المنسـف جالسـين.

وأمّـا مصـدر الأكلـة، المنسـف، فهـو بـدويّ ريفـي، في المناطـق شـبه الصحراويـة، وهـو كـما أشرنـا ابـن الحاجـة، وابـن المتوافـر مـن الطعـام، ولكـن، للذتـه اسـتمرّ، وأصبـح أكلـة وطنيـة بامتيـاز.

علائق اجتماعية:

في الوقـت الحـالي، أصبـح المنسـف الأكلـة الأكـثر اجتماعيـة، والأكثر دلالـة عـلى الوجاهـة، وعـلى احـترام مـن يقـدّم إليهـم الطعـام، فهـو يسـتخدم في الأفـراح، والعـزاء، كـما يسـتخدم في المناسـبات الاجتماعيـة الكبـيرة، كالعزائـم والولائـم، وهـو الأفضـل في هـذا، حتـى إنّـه أخـذ بعـداً سياسـياً في بعـض الأحيـان، بفضـل وسـائل التواصـل الاجتماعـي، فعندمـا تذكـر منسـف، فإنمـا يتبـادر إلى الأذهـان الولائـم التـي يقيمهـا النـواب وغيرهـم لتسـيير بعـض الأمـور العالقـة، والتـي لا يمكـن تسـييرها تحـت قبـة البرلمـان أو في أروقـة الاجتماعـات الوزاريـة، ولا أحـد متيقّـن مـن هـذا، ولكـن هـذا شـائع في المسـتويات الاجتماعيّـة، مـا يقرّبـه مـن الصحـة، أو مـا يجعلـه قابـلاً لأن يكـون روايـة شـعبية في القـادم مـن الأيّـام.

أسـماء المنسـف: القـرى، وقـد ارتبـط بـه بعـض الأغنيـات الشـعبية مثـل تلـك الأغنيـة التـي تقـول: صـبِّ الْقْـرَى يَـلِّيْ مْعَـوَّدْ عالِقْـرَى وتغنـى مدحـاً بصاحـب المناسـبة، فهـو متعـوّد عـلى القـرى وإكـرام الضيـوف، ومعنـى المطلـع: اسـكب القِـرى/ الطعـام أيهـا المعتـاد عـلى سـكبه للضيـوف (معـوّد).

المنسـف ببسـاطة مفرطـة ابـن الحاجـة، البـدوي إن أراد أن يقـري ضيفـه لـن يجـد في البيـت إلا اللـبن والخبـز/ الـشراك/ أو الجريـش، واللحـم/ الخـراف، وهكـذا، واسـتعذب القـوم الأكلـة مـع الأيـام وأخـذت تتطـور، وأمـا اللـبن الجـاف، فمعـروف في كل الدنيـا أن النـاس يخبّئـون منتجـات الصيـف للشـتاء بالتجفيـف، سـواء أكان اللـبن أم السـمك أم التمـر أم التـين والمشـمش أو غيرهـا حسـبما يتوافـر في المنطقـة، وأمّـا مـا يرافـق صناعـة المنسـف مـن خرافـات دينيـة، فهـو مجـرّد خرافـات لا أسـاس لهـا، المنسـف أكلـة بدويـة، ثـمّ ريفيـة، ثـمّ مدنيـة عـلى موائـد الكبـار في القصـور.

1- الفريق: مجموعة من بيوت الشعر، من ثلاثة فأكثر، وتسمى أحياناً (العرب)، الباحث.
2- السـقاء أو السـعن: وعـاءان جلديّـان يصنعـان مـن جلـود الأغنـام أو الماعـز، بحيـث يصبحـان شـبيهين بالقربـة، ويسـتخدمان في عمليـات حفـظ الحليـب، وخضّـه، وحفـظ السـمن، أو الزبـدة، وغيرهـا مـن مشـتقات الحليـب.
3- هذه العمليّات شاهدها الباحث كاملة في البيت.

السجاد الجزائري والسجاد العثماني ملتقى الحضارتين

من بين النشاطات والفعاليات لأكاديمية التعليم بمعهد الشارقة للتراث، أثناء «أيام الشارقة التراثية»، كانت لي مبادرة متواضعة حول الحِرف ومقارناتها بالحضارات الأخرى، وشاركت بالسجاد، وأهم الخصوصيات التي يتميز بها.

يشكّل التراث بجوانبه المادية والرمزية، العلامة المميزة لكل أمة من الأمم، وهويتها المنفردة، وهو يؤسّس هوية شعب ما، كما أنه العطاء الحضاري القومي، الذي يصب في موسوعة التراث الإنساني، ويسهم في ثرائها وغناها.

الصناعة التقليدية مظهر من مظاهر الحياة الشعبية، التي تعبّر عن مظاهر الثقافة الفنية، وتمثيل هوية مجتمع ككل متكامل.

لقد تأثر المجتمع الحضاري من خلال التطورات التي حضي بها في عدة مجالات، على سلوك الحرفي الذي يجعله ينتقل من الطابع التقليدي الى الطابع العصري ‘ولكن دون المساس بعراقة المنتوج المحلي.

أ ـ نورية آيت محند
مدرس أكاديمي
معهد الشارقة للتراث
ait.mohand.noria@hotmail.fr

من النشاطات التقليدية التي عرفت بها الجزائر، صناعة النسيج، أو السجاد، كما يحلو للبعض تسميته، حيث استطاعت الزربية التقليدية الجزائرية أن تحتفظ بأشكالها وأنماطها، الأصيلة والأصلية، رغم إدخال الحرفي فيها بعض الإضافات الإبداعية الحديثة، ما جعلها تحتفظ بثروتها المستوحاة من الاختلاط بالثقافات الأخرى، التي تركت بصماتها على الصناعات الحرفية، وحتى على نمط العيش المكتسب من التزاوج الثقافي والحضاري والاجتماعي.

إن الجزائر كغيرها من الدول الغيورة على تراثها، تسهر للحفاظ على الموروث العريق في العديد من المحافل الدولية، مما جعلها تحاول خلق مؤسسات لوضع علامات تجارية معترف بها، محلياً ووطنياً ودولياً.

إن المعارف التقليدية العتيقة، في مفهومها، هي كل ما يتصل باختراع البشرية، وهذا منذ أن بدأ الإنسان في استخدام ذكائه وسواعده، وما ابتدعه من لغة ومعتقدات، وعادات وفنون وأدوات، وكل ما توصل إليه من معارف عبر أجيال متعاقبة.

إن الجزائر وتركيا اسمين خالدين في التاريخ، وكل واحدة نهلت ثقافتها من الثانية، فأسهمتا في الحفاظ على الحضارة والهوية الإسلامية لعهود من الازدهار الثقافي والانتعاش الفكري، كما نتج عن ذلك التعاقبُ الحضاري والامتزاجُ الثقافي والاجتماعي، عبر العصور والأزمنة، مما خلق إرثاً حضارياً كبيراً.

يشكل هذا الإرث، اليوم، وحدة ثقافية وحضارية لها سماتها المميزة، التي تحمل في طياتها الأبعاد الحضارية والثقافية والتراثية.

لقد شُبّه السجاد بتلك الأداة التعبيرية لمجموعة من العادات والتقاليد والأعراف، والآهات والرسائل التي تعتبر مشفرة، ولا يستطيع فك تلك الشفرة إلا صاحب ذاك السجاد، أو أهل الاختصاص، وحتى ذوو الاختصاص يخطئون، أحياناً، في فك تلك الألغاز الموجودة برموز وأشكال، التي تختلف من الهندسية أحياناً، والنباتية أحياناً أخرى.

كان للحرفي دور بالغ الأهمية في المجتمع الجزائري، كما هي الحال عند الأتراك العثمانيين منذ وقت بكر، حيث ازداد هذا التقارب بعد ارتباط الجزائر بالخلافة العثمانية. وأي خلافة في الأرض لابد أن تترك بصماتها وآثارها، سواء الإيجابية أو السلبية، مما يؤدي إلى تغير النمط الاجتماعي لكل دولة أو شعب من الشعوب التي تعرّضت لاستيطان أو استعمار.

لقد شهدت الحرف تنظيماً محكماً، في الترتيب والتصنيف، فضلاً عن تنوعها الذي أدى إلى ثرائها.

وما شد انتباهنا هو حرفة النسيج أو السجاد، وخاصة السجاد الذي تقارب وتقاطع في الكثير من الخطوط والأشكال مع بعضه بعضاً، سواء في الجزائر أو لدى الأتراك.

أما عن سبب اختياري هذا الموضوع، فهو اللقاء الذي أنجزته مع حرفي تركي في إسطنبول، عاصمة تركيا سابقاً، في ورشته المتواضعة التي لا تتعدى بضعة أمتار، إلا أن الكنز الذي كان مكنوناً فيها

فيقدر بأثمان طائلة، وكانت إشكاليتي التي طرحتها حينها، وبقيت تراودني قبل سفري إلى تركيا، ولقاء الحرفيين المبدعين في السجاد، هي:

هل وجود هذه الحرفة التراثية وبقاؤها إلى هذه الساعة، دليل على الاهتمام والإيمان بهوية شعب وحضارته الضاربة في الأزمان؟

وأما السؤال الذي طرح نفسه فهو مدى التشابه الملحوظ في التقنيات المستعملة، اليدوية البسيطة في إنجاز السجاد من البداية إلى النهاية، والتي رأيتها تتشارك في التقنيات نفسها المستعملة في الجزائر، فمن تأثر بالآخر؟

عندما نتكلم عن تركيا، أول شيء يشدنا إليها، هو مساجدها العتيقة، وطابعها العمراني الذي يسلب العقول، وصناعتها الحرفية، وبالأخص السجاد.

أثناء زيارتي تركيا رفقة زميلتي الدكتورة حمصي لطيفة، وهي مختصة في التاريخ المجهري، توجهنا إلى مكان تروج فيه كل الصناعات الحرفية الأصيلة، من نحاسيات وفخاريات وحلي، وسجاد يأخذ القسط الكبير من الدراسة، مما جعلني أنهل من هذا العالم الرائع واللامنتهي من الأسئلة التي تحتاج إلى إشباع الجوع والفضول العلمي الذي ينتابني كلما رأيت شيئاً يمت بصلة إلى ثقافتنا الجزائرية والعربية الإسلامية، أو حتى شبه بسيط يأخذني في غياهب المعرفة والتعلم، لأنهل من بحر التراث اللامنتهي، وكلما ارتويت منه أحسّ بالعطش أكثر فأكثر، للوصول إلى حقائق تجلبني إلى معرفة هذا التشابه الملحوظ والملموس بين الثقافتين الجزائرية والعثمانية.

عندما تطأ قدماك للوهلة الأولى ترى الماء والخضرة والوجه الحسن، فسمحت لنفسي رفقة زميلتي، وسميناها بلد «التوارس»، والمناظر الجميلة والخلابة التي تسلب الناظرين.

إن تركيا في حدّ ذاتها تركت أثراً بالغاً في نقل حضارتها للجزائر، وظهر ذلك في مكنونها التراثي، بشقيه المادي وغير المادي، ومنه السجاد الذي يعكس رسالة تخاطب العقول والقلوب.

زيارتي لتركيا، تركت أثراً بالغاً في مخيلتي، وجعلتني أطرح أسئلة لامنتهية، عن هذا التشابه الملموس في النمط العمراني والحياة الاجتماعية، وحتى طريقة بناء الأسواق التي نجدها في الأزقة الضيقة، كما نسميها عندنا الدرب أو الدروبة أو الزنقة، لما تحويه هذه الأخيرة من خصوصيات رائعة، تدل على التكافل الاجتماعي والاتحاد، أضف إلى ذلك الحرف التي تراها بالعين المجردة، وممارستها أمام الزوّار والمهتمين والسيّاح والباحثين، وهذا تشجيع للحرف الآيلة للزوال، والمتخبطة في ظل التكنولوجيا والعولمة، التي كادت تقضي على التراث، لولا حرص أهل الاختصاص والغيورين على هذه الحرف وعلى هذا التراث المكنون. وتركيا من بين هذه الدول التي تحرص على هذه الحرف، خاصة حرفة النسيج أو السجاد.

إن زيارتي للورشة التي يقوم صاحبها بترميم السجاد الذي يُرمى في المهملات عند بعض الناس، حيث يسعى الحرفي لاقتنائها وإعادة ترميمها وإعادتها إلى ما كانت عليه من قبل، بل أحسن، لتباع بأبهظ الأثمان، قناعة من هذا الحرفي بأن الأشياء القديمة كالزرابي، كلما زادت في القدم، زادت قيمتها التراثية والحضارية، وحتى الاقتصادية.

مهما تكلمنا عن التراث فلا نستطيع أن نفيه حقه، ويبقى بحراً شاسعاً تغزوه أمواج من التراث العميق الذي يجرف معه كل محب وعاشق لتراث الأجداد.

من ليس له ماضٍ فلا حاضر ولا مستقبل له.

متحف المحطة

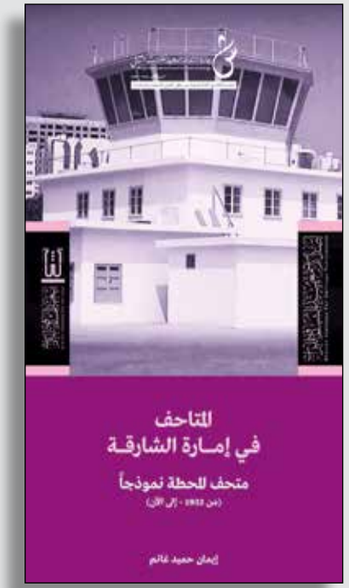

يعدّ متحف المحطة أحد أبرز وأهم المتاحف في إمارة الشارقة، حيث كان أول مطار تم افتتاحه في المنطقة عام 1930م، لمصلحة محطة الطيران، التابعة للتاج البريطاني.

وتسعى هذه الدراسة إلى توثيق تاريخ متحف المحطة، معتمدة على المنهج التاريخي الاسترادي، ولا يخفى أن كل دراسة قد تعترضها بعض الصعوبات أو الإشكاليات، وكانت الإشكالية الوحيدة التي واجهتها هذه الدراسة قلة عدد المصادر مقابل العدد الكبير من المراجع، وبالأخص المصادر العربية، حيث نجد أغلب المصادر التي تروي تاريخ المطار هي مصادر بريطانية على شكل أشرطة فيديو تصور مراحل البناء بشكل مباشر، وقد يعود ذلك إلى التطور الذي كان يتميز به البريطانيون، مقابل الجهل والفقر والأميّة التي كانت تسود المنطقة قديماً.

النموذج الثقافي للموت والخلود الرمزي

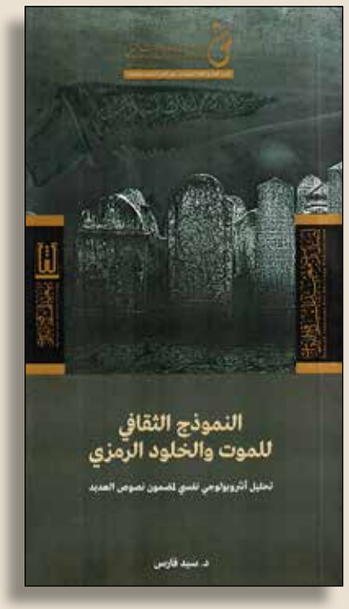

النظرية مكوّن أساسي في علم الاجتماع بعامة، والأنتروبولوجيا على وجه الخصوص، ذلك أن كثافة الوصف الإثنوغرافي تجعل الحاجة أكبر للنظرية في التفسير. إن الأنثروبولوجيين يجمعون بياناتهم الإثنوغرافية عن طريق الدراسة الحقلية، ولكن البيانات التي يختارون جمعها، وتأويلاتهم لهذه البيانات، تكون موجهة بمنظوراتهم النظرية، سواء كانت هذه النظريات متبناة بصورة ضمنية خبيئة، أو بصورة صريحة، فالنظريات هي الأدوات التي يتوسل بها الأنثروبولوجيون لتفسير ما يلاحظونه، وتحديد نوعية البيانات التي يعتبرونها مهمة وذات صلة دون غيرها.

ونظراً لتعدد جوانب ثقافة الموت وظاهرة الموت، فقد توسل الباحث في هذه الدراسة بإطار نظري تعددي، يحوي نظريات الخلود الرمزي، والاتجاهات المفسّرة للشعائر الجنائزية أو شعائر الموت.

فينيق الأبدية

مازالـت الموجـة المرتطمـة بالشـواطئ تتحـول إلى زمـن لا يعـبره الزمـن، لكنـه يتشـكّل لحظـة أبديـةً في رقيـم طينـي يتحـول نصوصاً وموجات ونبضات تتراكم لأولـد منها مثلما تولـد القصيـدة الكونيـة وهـي تكتـب دلالاتهـا ومعانيهـا ورموزهـا اللامعـة بأرجـوان قديـم هـرب مـن الأصداف البحريـة إلى هـذا اللـوح الطينـي الـذي كان في قـصر ملـكي عريـق، وتحديـداً، في مكتبـة القـصر الفخمـة ذات الجـدران المطليـة بالفضـة، ونوافذهـا المرصعـة بالجواهـر، المطلـة على رأس شـمرا، وميناء أوغاريـت، وبحـره المتـماوج بشـفافية نقيـة، كلـما ارتطمـت موجاتـه بموجاتـه اسـتيقظت الأبجديـة الأولى، وكتبـت أسرارهـا عـلى مسـارات النجـوم، وأكملـت الموجـة المرتطمـة بزمـن لا يعـبره الزمـن:

ـ بعـض أسرارهـا صـادف هومـيروس في إلياذتـه بعدمـا عـاد التجـار اليونانيـون بآنيـة فخاريـة أرجوانيـة، وبعـض أسرارهـا مـا زالت ترويـه الأمـيرة الأوغاريتيـة الخارجـة مـن رقيـم الأبجديـة عـبْر بوابـات هـذه القصـة، لتصعـد إلى الغيـوم، وينهمـر المطـر حرفـاً، فكلمـة، فأسـطورة، ثـم لتصعـد السـنابل من جديـد، ويعـود المـاء إلى الجـرار العتيقـة، فـلا تذبـل البحـار، ولا تمـوت الآثـار، ولا تنـام الذاكـرة المعشوشـبة قبـل آلاف السـنين.

وكان أنْ أوقفتنـي الكلمـة الغامضـة في برزخهـا، فاهتـزت الذاكـرة، وربـت المخيلة، وامتـلأت الأسـواق القديمـة بتجـار اليونـان والأناضـول ويمحـاض ومـصر ومملكـة مـاري، واسـتعاد الزمـان حركتـه المتجـذرة في النصـف الثـاني مـن الألـف السـابع قبـل الميـلاد، وتـاهَ في سـحر مدينـة (أوغـارو) لدرجـة أنـه نـسي العـودة إلى الزمـان.

«أوغـارو» العارفـة بمـدارات الـكلام، الواقفـة أشـجاراً في حقـول السـلام، مـا زالـت تعـبر مـن الزمـان، وتكتـب بألـوان السـماء حضارتهـا، مانحـة قـوس قـزح رسـالتها، ومـا زالـت أميرتهـا تحمـل جـرار المـاء والعطـاء، تـروي ملامـح «عنـاة»، و«إيـل» و«بعـل»، ومـا تناثـر مـن القصـور والقبـور والآكام، وتغـرس مـا تبقّـى مـن ظـلال وإشـعاع، مهللـة للسـفن القادمـة مـع المـوج، مانحـة أحفادهـا السـنابل والزيتـون واللغـة الأولى، والأحـرف الأولى المرسـومة لوحـات فسيفسـائية مـن ثلاثـين حرفـاً، لتشـير إلى ثلاثـين يومـاً في الشـهر مـن المحبـة والسـلام.

الموجـة تقـترب، وأنشـودة الكـون تطفـو، والحـب أزهـار جميـع الأبجديـات، والآثـار تنفـض غبـار السـكون، فتبـدأ المعزوفـة الأوغاريتيـة بالبـزوغ، تعلـو الموسـيقا، ويهبـط المطـر:

ـ يـا اللـه، مـا أروع المشـهد وهـو يتـسرب مـن الصـورة والألحـان، ويتحـول إلى عـالم سـباعيّ الأبعـاد الافتراضيـة والواقعيـة، يـا اللـه، مـا أجمـل رائحـة الأرض آنَ هطـول المطـر، يـا اللـه، أسـمع مـن لـوح أجـدادي الطينـي أصـوات شـخوص كثـيرة، وألمحُنـي معهـم، أتـسرب إلى هـذا الرقيـم، لأحـضر زفـاف عنـاة وبعـل.

المطـر مثـل الأغـاني يتهاطـل عـلى الـرؤوس والطيـور والحقـول، والكلـمات تنبـت، تزهـر، تلمـع، وتذوب مـع القلوب شموسـاً دائمـة السـطوع، والجوقـة الملكيـة تـردد مـا ينشـده «بعـل»:

غالية خوجة

كاتبة وشاعرة ـ سوريا

الحروف العربية	الحروف اللاتينية	الأبجدية الأوغاريتية	الحروف العربية	الحروف اللاتينية	الأبجدية الأوغاريتية	الحروف العربية	الحروف اللاتينية	الأبجدية الأوغاريتية
ف	P	𐎐	ي	Y	𐎍	ا	A	𐎀
ص	Ṣ	𐎕	ك	K	𐎊	ب	B	𐎁
ق	Q	𐎖	ش	Š	𐎋	ج	G	𐎂
ر	R	𐎗	ل	L	𐎌	خ	Ḫ	𐎇
ث	Ṯ	𐎙	م	M	𐎍	د	D	𐎃
غ	Ġ	𐎘	ذ	Ḏ	𐎏	ه	H	𐎄
ت	T	𐎚	ن	N	𐎎	و	W	𐎅
إ	I	𐎉	ظ	Ẓ	𐎑	ز	Z	𐎆
ؤ	OU	𐎈	س	S	𐎒	ح	Ḥ	𐎈
(س)	(S)	𐎓	ع	ʿ	𐎍	ط	Ṭ	𐎍

تقـف شـامخة أمـام «بعـل»، ترقـص حتـى تـدوخ الجبـال، وترتفـع السـنابل، وتفيـض الحقـول بالمدعوويـن مـن الملـوك والأصدقـاء والشـعوب، وتتحـول شـواطئ البحـر الأبيـض المتوسـط إلى سـفن فينيقيـة بهيئـة بجعـات، عنـاة العـروس الشـامخة مثـل النشـيد والأبجديـة ترقـص، ويرقـص معهـا جميـع الحاضريـن، ترقـص ويرقـص بعـل، وحالمـا تقـترب عنـاة مـن بعـل، ويقـترب بعـل، ولا يبقـى بينهـما سـوى مسـافة خطـوة، تمسـك عنـاة يـد بعـل، وتضـع تاجـاً مـن الأبجديـة، وتنشـد:

ـ «حطّـم سـيفك، وتنـاول معولـك واتبعني، لنـزرع السـلام والمحبّـة في كبـد الأرض، أنـت سـوري، وسـوريا مركـز الأرض».

مـا زالـت الأرض تـدور حـول الأبجديـة، والأبجديـة تـدور حـول المحبـة والسـلام، ومـا زال الكـون لحظـةً أبديـة ترتطـم بالأزمنـة، وتتحـول بحـاراً وأشـجاراً وأمطـاراً تتدافـع مـن ألـواح «أوغـارو» إلى مـا لا نهايـة.

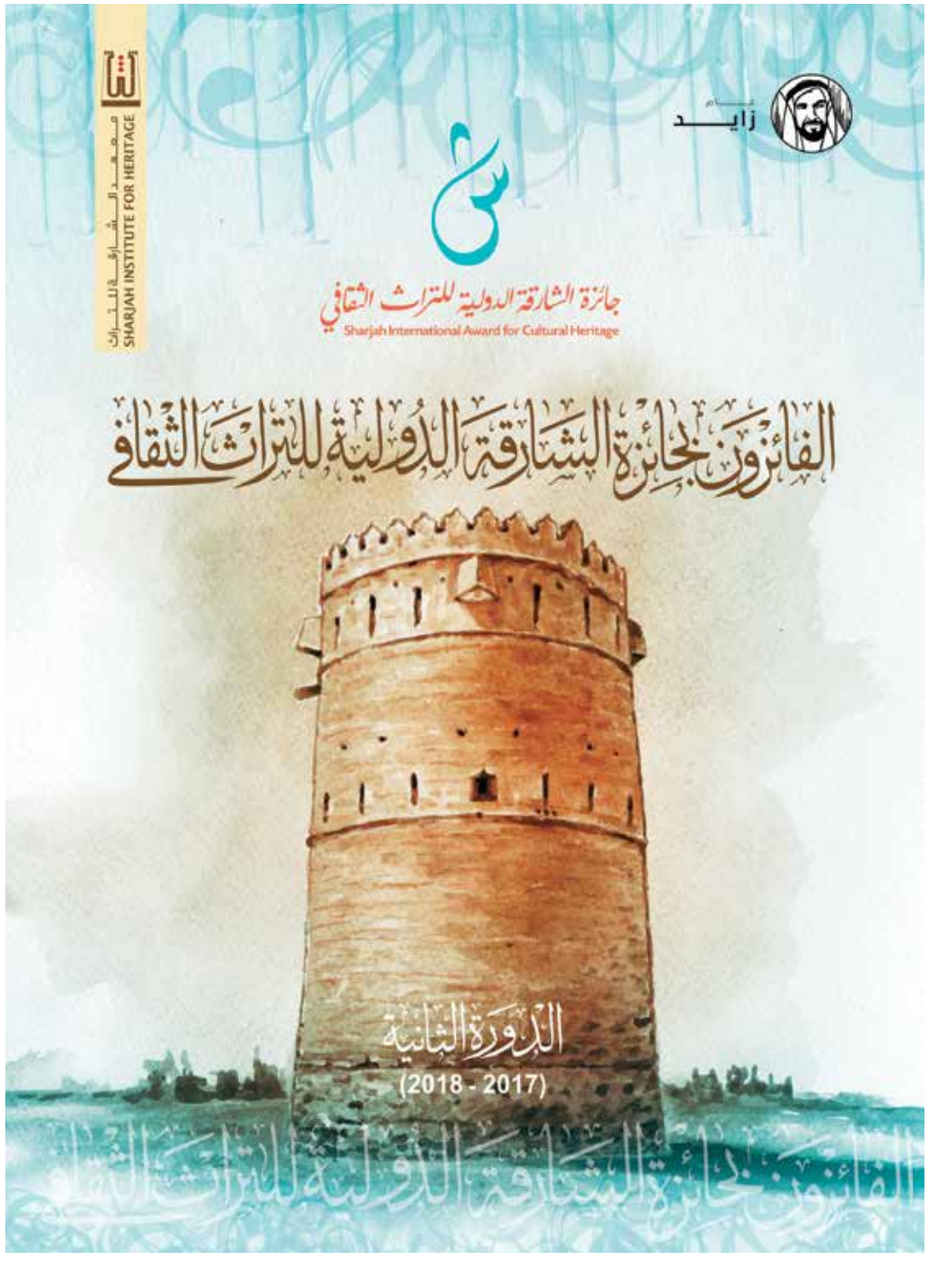

يحتفي هذا الكتاب بالفائزين بجائزة الشارقة الدولية للتراث الثقافي في دورتها الثانية (2017 - 2018)،
مستعرضاً حقولها وفئاتها، ونبذاً من سير الفائزين وملخصات أعمالهم الفائزة في هذه الدورة.

رجل التراث

د. منّى بونعامة
مديرالتحرير
mini.abdelkader@yahoo.com

يشـكّل الـتراث عنـصراً جوهريـاً في رؤيـة صاحـب السـموّ الشـيخ الدكتـور سـلطان بـن محمـد القاسـمي، عضـو المجلـس الأعـلى للاتحـاد حاكـم الشـارقة، حفظـه اللـه ورعـاه، وفي فكـره وكتاباتـه، ويتجلى ذلـك بـشيء مـن الوضـوح في توجّهـات سـموه، وتوجيهاتـه بوضـع الإطـار المؤسـسي والقانـوني في إمـارة الشـارقة، لإنشـاء مؤسسـات تعنـى بحفـظ الـتراث وصونـه، ودعـم الجهـود المبذولـة، والتنسـيق مـع الهيئـات والمنظمـات الدوليـة المعنيـة من أجـل إنقـاذ الـتراث الثقـافي مـن الضيـاع والاندثـار، اتسـاقاً مـع رؤيـة سـموه الشـاملة والمتكاملـة، والتـي تنظـر إلى الـتراث بوصفـه يمثـل وعـاء الهويـة وهمـزة الوصـل بـين المـاضي والحـاضر، وذلـك فحـوى قولـه: «إن البرامـج التراثيـة تعـد همـزة الوصـل التـي تربـط أبنـاء الجيـل الحـالي بـتراث ومـاضي آبائهـم وأجدادهـم». وتـبرز تجليـات الـتراث في كتابـات صاحـب السـمو الحاكـم، حفظـه اللـه، في الاسـتدعاء والتوظيـف لرمـوز الـتراث وعنـاصره ومفرداتـه المختلفـة التـي تطفـح بهـا كتاباتـه، ومـن خـلال وصفـه كذلـك وتوصيفـه بعـض الممارسـات الثقافيـة والاحتفـالات التراثيـة في المناسـبات والأعيـاد، والعـادات والتقاليـد الاجتماعيـة المصاحبـة لذلـك، ووصـف المـدن وصفـاً دقيقـاً بـكل مـا يحيـط بهـا، ونحلـة عيـش أهلهـا، وثقافتهـم وتراثهـم، وهـو أمـر جـليّ وواضـح كالشـمس في رابعـة النهـار، ويمكـن أن يستشـف ويستكشـف فيـما كتبـه سـموه في أعمالـه التاريخيـة والأدبيـة، التـي شـكّلت إضافـة نوعيـة في حقـل الدراسـات التاريخيـة والثقافيـة الإماراتيـة المعـاصرة.

كـما وثـق سـموه في كتاباتـه تاريـخ الأماكـن والمعـالم في الشـارقة، خاصـة حصـن الشـارقة، الذي يمثـل ذاكـرة المـكان، وتاريـخ الأسرة القاسـمية الكريمـة، وحكامهـا الذيـن تعاقبـوا عـلى حكـم الإمـارة وتوابعهـا، وقـد قـدّم سـموه وصفـاً دقيقـاً ومفصّـلاً للحصـن وموقعـه ومكوناتـه، وكلّ مـا يحيـط بـه، ووظائـف كلّ جـزء، سـارداً كل مـا يتّصل بـه مـن قصـص وحكايـات، كـما تحـدث عـن سـوق العرصـة، وشـجرة الرولـة، التـي تُعـدّ رمـزاً تراثياً مهـماً؛ وكان لهـا دور محـوريّ في حيـاة السـكان، لاسـيما في المناسـبات والأعيـاد؛ إذ كانـت تقـام فيهـا مراسـم الاحتفـالات، وذلـك مـا يحيـل إليـه سـموه بقولـه: «في مسـاء ذلـك اليـوم (العيـد)، يتوافـد إلى شـجرة الرولـة، وارفـة الظـل، الرجـال والفتيـة والفتيـات والأطفـال، وتعلّق الحبـال عـلى الأغصـان الكبيرة من شـجرة الرولـة، وتجلـس الفتيات في صفـين عـلى الحبـال، وتشـبك فتـاة أصابـع رجليهـا بالحبـال التـي تجلـس عليهـا الفتـاة التـي تقابلهـا؛ فتتكـوّن)المرجيحـة(مـن ثمـاني فتيـات، أمّـا الفتيـان فيقومـون بـ)شـط المرجيحـة(؛ أي إبعادهـا إلى أعـلى بـكلّ عفـة».

ومـن التقاليـد الراسـخة التـي درج عليهـا الأولـون في حياتهـم وطلبهـم العلـم، احتفاؤهـم بختـم القـرآن الكريـم، الـذي كان يعنـي إجـادة القـراءة مـع حفـظ جـزء عـمّ، ويقـدّم سـموه صـورة واضحـة المعـالم عـن مراسـم ختـم القـرآن قديمـاً في مجتمـع الإمـارات.

إن الجهـود الكبـيرة التـي يضطلـع بهـا صاحـب السـمو حاكـم الشـارقة في مجـال الـتراث الثقـافي حفظـاً وصونـاً وتوثيقـاً، محليـاً وعربيـاً، تجعـل منـه رجـل الـتراث العـربي الرائـد بـلا منـازع، وهـو حـري وجديـر بذلـك.

follow-up, events and activities organized by the Sharjah Institute for Heritage.

In this issue, the magazine celebrates the centenary of the late leader Sheikh Zayed bin Sultan Al Nahyan, may God rest his soul, through a special report entitled: Zayed.. 100 Years of History, viewing parts of his great biography and flashes of his life. It focuses on his efforts in the field of culture, heritage and education, and his place in the hearts of Emirati writers , as well as study of his passionate and beautiful poems.

The issue starts with the honoring the winners of the Sharjah International Award for Cultural Heritage (20172018-) by His Highness the Ruler of Sharjah, in addition to the Institute›s foreign participation in Tajikistan, Tanzania, Italy and the celebration of the Night of Mid Sha›ban.

Also, the issue presents a panoramic view of the 16th edition of Sharjah Heritage Days under the logo: «With Heritage, We Rise» from 821- April 2018, detailing the included cultural activities and heritage programs that formed an addition to the rich list of Sharjah Heritage Days.

The issue includes cultural and heritage subjects ranging from folk games, traditional cuisine, handicrafts, proverbs, arts and many others. It also reviews various approaches and readings on the therapy by stories, the old trips in the UAE, the treasures of the heritage of the Emirati narrators and the heritage experts.

Heritage of Sharjah

Sharjah, the smiley Emirate is making a difference by its exceptional efforts in promoting for its pioneering cultural project led by His Highness Sheikh Dr. Sultan bin Mohammed Al Qassimi, Member of the Supreme Council and Ruler of Sharjah, who provides the world with a unique model in supporting culture.

Marawed Magazine, in all its issues, is following up on the development of this project, which has transformed the emirate into a cultural center that reached the world through its news,